الحوار
ومكانته في الإسلام

دكتورة
منى محمد سليم
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات - بالاسكندرية

﴿ ٣٠٣ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحوار ومكانته فى الاسلام

—

الحوار لغة المستقبل وهى التى تليق بالانسان وأخيه الانسان من أى لون ومن أى فكر أو دين، فالحوار يؤدى إلى لغة التفاهم، والتفاهم يوصل إلى السلام وأعنى به السلام بين الأديان وخاصة لأهمية الأديان فى نفوس البشر وكذلك بين الفرقاء فى داخل هذه الأديان. كما أنه يجب ألا يغيب عن واقعنا على التأكيد على أن الحوار بين الأديان هو أساس الحوار بين الحضارات، وهو السبيل الأمثل لتحقيق التساكن الحضارى، ورد الاعتبار للدين فى الحياة العامة للبشر، وصد أخطار الألحاد والمادية، وضمان قاعدة الاستقرار والأمان للمجتمع البشرى من خلال القيم الاخلاقية لهذه الأديان السماوية حتى يتحقق التوازن النفسى والفكرى مع طبيعة البشر، وتوطيد دعائم الحضارة الإيمانية المنسجمة مع طبيعة الأشياء، وضوابط الكون[1].

ولا شك أننا اليوم فى أمس الحاجة إلى الحوار للتغلب على هذه المشكلات الحياتية على جميع المستويات لا لأنه من طبيعة الإنسان فحسب بل ايضا لما تفرضه مقتضيات العصر من مصير مشترك لمواجهة واقع فعل مشترك يتحدى الجميع خاصة فى ظل ما يسمى بالعولمة أو كما يسمية جارودى بنظام الأمركة أصبح العالم قرية واحدة لا تفصلها حواجز ولا حدود لقد أدى اختصار المسافات وزيادة الصلات

(١) أ.د/ آمنه محمد نصير، مقدمة مكانه الحوار بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وتعميق الاعتماد المتبادل إلى تحول العالم إلى حوار بشرى واحد. هذا الحوار الذى جعل من الحوار الحضارى ضرورة محتومه فلم يكن هناك مفر من اللقاء معاً على مائدة واحدة لتحديد المشكلات المشتركة والتعاون الثنائى المستمر لحلها، وان يسعى لها الطرفان بنفس الرغبة لانها كما نعلم قضية معقدة ينبغى تعاون الطرفان على مواجهتها معا حتى يسهل حلها وقد شبه نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم المصير البشرى كله من خلال مثال معبر عما نحن فيه الآن فى عالمنا المعاصر من مصير واحد مشترك ابلغ تعبير يصور النبى الناس جميعا كما لو انهم فى سفينة فى عرض البحر، وقد توزع الركاب فى أنحائها فاستقر بعضهم فى اعلاها والبعض الأخر فى اسفلها وكان الذين فى اسفلها إذا أرادوا الحصول على الماء صعدوا إلى أعلى السفينة واحضروا الماء. وحين رأوا انهم قد تعبوا من الصعود والهبوط والمرور على الركاب فى أعلى السفينة قرروا احداث خرق فى اسفلها يأخذون منه حاجاتهم من الماء ويوفرون على أنفسهم مشقة الصعود والهبوط. ويقول نبى الاسلام إن ركاب السفينة إذا تركوهم يفعلون ما يشاءون فسيكون نتيجة ذلك غرق السفينة وهلاك الجميع ولكن لو تم منعهم مما أرادوا فإن ذلك سيكون سبباً فى نجاتهم جميعا فالمصير البشرى مصير مشترك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى اسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيديهم

نجوا ونجوا جميعاً»[1].

يا ليت الجميع يفهم مغزى قول النبى محمد صلى الله عليه وسلم هذا من أن أصغر خرق فى السفينة يساوى أوسع قبر للمجتمع كله. وينتبه الجميع إلى إن هذه السلبية مما يجرى فى العالم اليوم من حروب وصراعات بدون أدنى اهتمام قد تسلم الأمة إلى الضياع وتؤدى بالعالم إلى الهلاك وإذا كان الآخر ينطلق من موقف القوة معادياً للإنسانيه ملئ بالشك من الشعوب ومستقبلها ولا يرى الحضارة والرقى إلا فى أمته التى عليها أن تشن الحروب وتخوض انواع الصراع لإخضاع الشعوب الأخرى دفاعاً عن الحضارة ومستقبلها فنحن المسلمون يجب أن نعى إن علينا دوراً كبيراً وهاماً فى هذه القضية لأننا أصحاب دعوة وحملة رسالة تؤمن بالشعوب ومستقبلها وتدعوا إلى التواصل والحوار مع الآخرين وأن ديننا الحنيف لديه الكثير مما يقدمه للبشرية جمعاء للخروج من حالة الحرب والقتل والصراع والنزاع المستمر إلى حالة من السلام والأمن والامان لكل الدول والمجتمعات البشرية من أجل التعايش حول هدف واحد مشترك وغاية واحدة. ولا يكفى أن يقف المرء موقف المشاهد غير المبالى ولا موقف المتسامح السلبى بل علينا أن نظهر فى حواراتنا البعد الانسانى للاسلام مع الآخر والقيم الاخلاقية والاجتماعية الاسلامية بأبعادها الأخلاقية خاصة وان الأزمة الآن أزمة روحية وأخلاقية.

(١) دليل الفاتحين جـ ١ ص ٤٧٠.

وهذا ما سأحاول أن ابينه من خلال الحديث عن الحوار ومكانته فى الاسلام مبينة أولاً:

أولاً : معنى الحوار والجدل.

ثانياً: الحوار فى القرآن.

ثالثاً: أسس التسامح فى القرآن.

رابعاً: الهدف من الحوار.

خاتمة: أتناول فيها:

الضوابط الاخلاقية للحوار.

أولاً: مفهوم الحوار والجدل:

لكى تكون المصطلحات واضحة فى الذهن ينبغى ألقاء الضوء على بعض الإلفاظ التى نتناولها فى هذا الموضوع كالفظ الحوار والجدل وذلك حتى لا تختلط المعانى:

ففى الدلالة اللغوية:

هو الرجوع عن الشئ إلى الشئ. حار إلى الشئ وعنه حوراً ومحاراً ومحارة وحوراً: راجع عنه وإليه.

والمحاورة والمجاوبة والتحاور: التجاوب، وتقول كلمته فما أحار لى جواباً. وما رجع إلى حويرا ولا حورا أى ما رد جواباً وأستحاره أى استنطقه.

والأحور: العقل، يقال، وما يعيش فلان بأحور، أى ما يعيش بعقل يرجع إليه[1].

نفهم من ذلك ان الحوار تحاور أى تفاعل وتجاوب بين طرفين وهذا التجاوب يقتضى حتمية الوصول إلى نتيجة ايجابية بحكم مفهوم التجاوب ذاته بين الطرفين خصوصاً حين نعلم أنه اسم من اسماء العقل فى اللغة.

الأحـــور:

فللحوار فى لغتنا وتراثنا معان رفيعة القدر سامية الدرجة تكسوها مسحة حضارية راقية فتكسبها دلالة عميقة تعبر عن روح الأمة.
يؤكد هذا ما ورد فى القرآن الكريم بعد ذكر المشركين المستكبرين عن

(١) ابن منظور – لسان العرب مجلد ١ ص ٧٥١ طبعة دار الجيل بيروت لسنة ١٩٨٨.

مجالسة الضعاف والمساكين من المسلمين: يقول تعالى

«وكَانَ لَهُ ثُمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا(٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(٣٨)»[١].

وفى سورة المجادلة والتى يحمل اسمها أيضاً اشارة إلى الحوار: يقول تعالى: **«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»**[٢].

والتحاور عند الطبرى المراجعة فى الكلام، وهو المعنى الفصيح الصحيح الذى نجد له أصلا فى كتب اللغة وان كان ابن كثير ذهب فى تفسيره لسورة الكهف إلى أن معنى «يحاوره» يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه)[٣] ولا يوجد لهذا المعنى فى اللسان أصل. فالاصل فى الحوار هو المراجعة فى الكلام وهو التجاوب بما يقتضى ذلك من رحابه الصدر وسماحة النفس ورجاحة العقل. وأقتران الحوار بالعقل يؤكد على معنى سام فى سياق تحديد مدلول اللفظ. ذلك أن الحوار العاقل هو الذى يقوم على أساس راسخ ويعتمد وسيلة سليمة ويهدف إلى غاية نبيلة وارتباط الحوار بمعنى الرجوع عن الشئ وإلى الشئ يثبت فى الضمير الانسانى فضيلة الاعتراف بالخطأ. ويركز على قيمة عظمى من قيم الحياة الإنسانية وهى القبول بمبدأ المراجعة.

---

(١) الكهف ٣٤/٣٨.
(٢) المجادلة ١.
(٣) تفسير ابن كثير - سورة الكهف.

الذى يتجاوز الرجوع عن الخطأ إلى مراجعة الموقف برمته. إذا أقتضت لوازم الحقيقة وشروطها هذه المراجعة. وأستدعى الأمر إعادة النظر فى المسألة المطروحة للحوار على أى نحو من الانحاء وصولاً إلى جلاء الحق»[1].

وفى النهاية كلمة حوار تعنى فى الاصطلاح اللقاء الفكرى بين طرفين أو أكثر. أفراد أو جماعات، حول قضية محددة وعادة ما تكون هذه القضية ذات طابع خلافى. والغاية من الحوار تبادل الآراء وتمحيصها بعقل ناقد، الأمر الذى يستلزم مقارعة الحجة. ومن شروط الحوار موافقة الأطراف المتحاورة على نقد الآخر ونقد الذات، وقد يكون الحوار بين طرفين غير متربطين فيكون حواراً بينياً وقد يكون بين طرفين ينتميان إلى نفس الوحدة فيكون حواراً داخلياً.

أما تاريخياً: فقد كان الحوار وسيلة سقراط إلى التوصل للحقيقة إلا أنه سرعان ما توارى وراء سيطرة فلسفة أرسطو فى العصور الوسطى، الإسلامية والمسيحية على حد سواء. وفى الثلث الأول من القرن العشرين عاد الحوار مرة أخرى على يد الفيلسوف الألمانى "مارتن بوبر" فى كتابه "الأنا والأنت" (١٩٣٣) فإذا كانت العلاقة بين الأنا والآخر تقوم على اعتبار الآخر "شيئاً" انعدم التواصل، أما إذا قامت على أساس أن الآخر هو أنت فلابد من تحقيق الغاية المرجوة وهى أن يصبح كل طرف مسئولاً عن الطرف الآخر. ويشبيع اليوم مصطلح الحوار بين الثقافات ينشد الكشف عن نقاط الأتفاق من أجل دعمها، والكشف عن نقاط الافتراق من أجل تمحيصها حتى لا تسبب صراعاً، والحوار بين الأديان يعنى التعامل معها من أجل الكشف عن نقاط

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجرى الحوار والتفاعل الحضارى ص ٨٤.

الاتفاق فى القيم الأخلاقية دون التعامل معها من أجل الكشف عن نقاط الاتفاق فى القيم الأخلاقية دون التعامل مع كل الخلافات العقائدية.

أما الحوار بين الحضارات فيعنى أولاً أن ثمة حضارات متباينة ولكنها على الرغم من تباينها إلا أنها تتجه فى النهاية إلى خلق حضارة انسانية واحدة مع تنوع الثقافات وتعددها وتعايشها. والهدف من الحوار – اكتشاف الذات – اكتشاف الآخر – بناء أرضية مشتركة نتيجة مفاهيم جديدة(١).

معنى الجدل والمجادلة:

أصل مادة المجادلة: جدل يقول صاحب مختار الصحاح [جادلة خاصمة مجادلة وجدالا، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة»(٢).

وقد عرف الجدل صاحب (الكافية) بقوله هو إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما عن التدافع والتنافى بالعبارة، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة فيكون كل واحد من الخصمين يروم غلبه صاحبه باسقاط كلامه بتقوية كلام نفسه عليه، كالمتصارعين يروم كل إسقاط صاحبه بغلبته وقوته عليه»(٣).

ويقول صاحب «المفردات».

(الجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة](٤) وعليه فالغرض من

(١) مصطلحات حوار الثقافات. الهيئة القبطية الانجيلية للخدمات الاجتماعية. منتدى حوار الثقافات ص ٢١، ٢٢.
(٢) الامام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى: مختار الصحاح مادة [جدل] ص ٩٦ دار الحديث القاهرة.
(٣) الإمام الجوينى: الكافية فى الجدل ص ٢١، ٢٢ مطبعة عيسى البابى الحلبى سنه ١٣٩٩ – ١٩٧٩.
(٤) الراغب الاصفهانى: المفردات فى غريب القرآن: مادة جدل ص ٨٩ سنه ١٣٨١ سنه ١٩٦١م.

الجدل ليس إظهار الصواب بل الزام الخصم والتغلب عليه فى مقام الاستدلال][1] وإذا كان هذا هو مفهوم الجدل، فلا شك أن هذا المدلول لا يتفق ومفهوم الجدل الذى استعمله القرآن الكريم وأمر أتباعه باستعماله مع المخالفين وخاصة مع أهل الكتاب فقال تعالى:

«وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» النحل/ ١٢٥ «وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» العنكبوت/ ٤٦ فالقرآن هنا يأمر بالجدال ولكنه يقصره على الجدل بالحسنى ابعاداً له عن مفهوم الجدل المذموم الذى يطمس الحق ويسعى لاخفائه وينصر الباطل.

ولذلك ذم القرآن ذلك النوع من الجدل الذى لا يهدف إلا إلى تحقيق العناد وليس الحق بالباطل قال تعالى:

«وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ»/ الكهف/٥٦

وقوله تعالى:

«مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" الزخرف/٥٨

وقال تعالى:

«وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا» الكهف/٥٤

وفى مثله قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

«دع المراء وإن كنت محقا»[2].

---

(١) أ. محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل. طبع دار الفكر العربى ١٩٨٠.
(٢) أخرجه الترمذى فى سنن ٣١٥/٤ كتاب البر، باب ما جاء فى المراء عن أنس بن مالك رضى الله عنه - وابن ماجة فى سننه ١٩/١ - ٢٠ كتاب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل عن أنس رضى الله عنه.

وعلى ذلك تبين لنا أن الجدل منه ما هو محمود وهو الذى يهدف من ورائه مناظرة الخصم من أجل أظهار الحق. واقامة البرهان على صحته. وهى الطريقة التى يشتمل عليها جدل القرآن فى هداية الكافرين وألزام المعاندين بخلاف مجادلة أهل الأهواء فإنها منازعة يقول الإمام فخر الدين الرازى:

(الجدل المذموم فى القرآن الكريم محمول على الجدل فى تقرير الباطل، وطلب المال والجاه، والجدل الممدوح محمول على الجدل فى تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى»[1].

وهذا النوع من الجدل الغير محمود هو ما وقع بين الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وبين أقوامهم وما دار بينهم من حوار لأثبات الدعوة لهو الجدل بعينه فلننظر إلى جدل موسى مع فرعون وبنى أسرائيل وكذلك جدل نوح مع قومه. وكيف أشتد الجدل بينهم حتى قالوا:

[يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] هود/٣٢.

ولقد عاب القرآن الكريم على هذا الجدل المنسوب إلى الكفار وعده مذموماً لأنه جدل بالباطل يقول تعالى

«وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» وهذا الجدل الباطل لا يعتمد على الحجج القاطعة ولا دليل يؤيده قال تعالى:

[الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ] غافر/ ٣٥.

---

(١) الامام فخر الدين الرازى - مفاتيح الغيب جـ ٥ سنه ١٨٨.

وقوله تعالى:

«مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» الزخرف/٥٨

ولقد نهى القرآن الكريم عن الجدل من أجل الجدل وأن يتحول الانسان إلى شخص جدلى. لا هم له فى المجال الفكرى إلا أن يتغلب على خصمه، أو أن يشغل وقته فى جدل عقيم لا طائل تحته. لان ذلك يساهم فى تشوية الكيان الفكرى للإنسان ويجعله يبتعد عن الحق. ولقد صور القرآن الكريم لنا ذلك فى اكثر من أية فى نطاق حديثه عن المشركين فى مكة يقول تعالى فى الآيات القرآنية التى تتحدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام[1].

"وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(٥٧)وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ(٥٨)إِنْ هُوَ إلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" الزخرف ٥٧/٥٩.

كذلك لم يشجع القرآن على الجدل، فلقد جادل مخالفيه من أرباب الأديان والملل لكنه كان لا يمد فى حبل الجدل حرصاً على الألفه، وكثيراً ما تختم آيات الجدل بمثل قوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" الزمر/٣

وقوله تعالى:

[وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ(٦٨)اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] الحج ٦٨/٦٩.

(١) د/ على عبد الفتاح المغربى - حقيقة الخلاف بين المتكلمين ص ١١٢ مكتبة وهبه ط أولى سنه ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

فالقرآن لم يشجع على الجدل فى العقائد بل عرض له للحاجة وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضى فيه[١].

ويقول الامام ابن تيمية:

إن الانسان له ثلاث أحوال:

إما أن يعرف الحق ويعمل به، وإما ان يعرفه ولا يعمل به، وإما أن يجحده فالأول هو الذى يدعى بالحكمة فإن الحكمة هى العلم بالحق والعمل به، والثانى يوعظ بالموعظة الحسنه، فإن النفس لهما أهواء تدعوها إلى خلاف الحق وان عرفته. فالناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنه وإلى الحكمة. أما الجدل فلا يدعى به بل هو من باب دفع المعارضة فإذا عارض الحق معارض جودل بالتى هى أحسن وذلك لان الجدل فيه مدافعه ومغاضبه فيحتاج أن يكون بالتى هى أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعه والمدافعة][٢].

والقرآن الكريم كما بينت سابقاً لا يستخدم من الجدل إلا أحسنه حيث أنه سبحانه وتعالى لا يقصد من ذلك مجرد الالزام والغلبه ولكنه يريد هداية القلوب وتقرير الحق وازهاق الباطل وأخذ بين المناظر فى طرق الاستدلال الصحيح لابلاغه الحق وذلك باستخدام الجدل البرئ من التعصب الخالى من العنف والانفعال وفق القواعد والاسس لاداب الجدل. وهى كما بينها القرآن الكريم:

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢١٥/٢١٦.
(٢) ابن تيمية: الرد على المنطقين ص ٤٦٨.

(١) التخلى عن التعصب لوجه نظر سابقة واعلان البحث عن الحقيقة. وقد ارشدنا القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى:

"وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ". سبأ/٢٤

(٢) التقيد بالقول المهذب البعيد عن الطعن أو تجريح أو أحتقار لوجهة النظر الذى يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره.

قوله تعالى: "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" النحل/ ١٢٥

قوله تعالى: "وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" العنكبوت/٤٦

(٣) التزام الطرق الاقناعية الصحيحة لدى المجادلة قال تعالى فى سورة النمل. قال تعالى: "أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" النمل/٦٤

وقوله تعالى: "أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَـذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" الأنبياء/ ٢٤.

(٤) عدم الطعن فى أدلة المجادلة إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم.

(٥) قبول النتائج التى توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع فيه الدليل المرجح وإلا كانت المجادلة من البعث الذى لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه[١].

اكتفى بهذا القدر من الأسس التى تبنى عليها آداب الجدل والمجادلة وأذكر ما أورده الأمام الغزالى فى كتابه الاحياء:

أن من أدب المجادل الذى يقصد بجداله وجه الله وأحقاق الحق أن يكون جداله

(١) أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ص ٣٦١/ ٣٦٨ بتصرف.

مع خصمه فى خلوته لا فى حفل جامع فإن الخلوه أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك لا حق وفى حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصره كل واحد نفسه محقاً كان أم مبطلا فحرصهم إذا كان المحافل والمجامع ليس لله ولا لوجه الحق، فقد يخلو الواحد منهم بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما أقترح عليه صاحبه بعض الأمور فلا يجيب فإذا انتظم مجمع أو تكامل عقد محفل لم يغادر قوى الاحتيال منزعا حتى يكون هو المختص بالكلام وفارس الميدان. ومن أدب المجادل أيضاً أن يكون فى طلب الحق كناشد الضالة سواء لديه أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له طريق الحجة، وهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى أن أمرآة ردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال «أصابت أمرأة وأخطأ رجل» وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال: «ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال [أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم]. واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه فقال أبو موسى: لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل، فقال: هو فى الجنه وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم؟ فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال: ابن مسعود، وأنا أقول أن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنه، فقال: أبو موسى: الحق ما قال][1].

(١) الامام أبى حامد الغزالى – الاحياء فى علوم الدين جـ ١ ص ٤٤.

ثانياً: الحوار فى القرآن:

يعيش العالم الآن أزمة أخلاقية متمثلة فى انقلاب القيم فأصبحت الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة والحق باطل والباطل حق وترجع أسباب هذه الأزمة إلى وجود فجوة بين العقل البشرى حول الفعل الاخلاقى وبين التراث الدينى الممثل فى النص المنزل من عند الله ولكى نخرج منها لابد من وجود منهج مناسب يعيد للقيم الانسانية مكانتها ولا يتأتى ذلك إلا بالحوار الهادف بين العقل الإنسانى وبين ما جاءت به الرسل من دين منزل هو الحل الوحيد لقضية فساد الأخلاق بين البشرية جمعاء فى كل زمان وفى كل مكان.

[فليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة تأثير الدين على فكر الأنسان وارادته][1].

ومن الأسباب التى تدعو إلى ضرورة أن يكون هناك حواراً لإقرار الفعل الأخلاقى هو اختلاف الاراء والعقول بين الناس وقد اشار إلى ذلك التوحيدى فى قوله:

ولما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول نتائج الله للعباد وهذه النتائج مختلفة بالصفاء والكدر وبالكمال والنقص وجب أن يجرى الأمر فيها على مناهج الأديان فى الاختلاف والافتراق»[2].

ولم يكن هذا الاختلاف بمانع من الوحدة الانسانية الجامعة بل إن هذا

---

(١) د/ محمد عبد الله دراز – من بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان دار العلم سنه ١٩٩٠ ص ٩٨/ ٩٩.

(٢) أبو حيان التوحيدى، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان حـ٣ ص ١١٦.

الاختلاف من سنن الله تعالى فى خلق الإنسان إذ جعل فيه قوة يتكيف بها ويتجاوب معها قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَاخْتِلافُ أَلسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ»(١).

وان اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا وانما يجب أن يكون وسيلة من وسائل التعاون البشرى والتعارف والتلاقى على الخير ومصلحة الانسان، ليكون العدل هو السائد حيث انطلق المبدأ الانسانى الخالد فى القرآن: يقول تعالى «يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(٢).

وحتى يتأبد عمل هذه السنه الإلهية سنه التعددية فى كل عوالم الخلق فى الإنسان والحيوان والنبات والجماد والأفكار. والأجرام دعا الإسلام إلى منهاج «التدافع» بدلا من الصراع والصدام فى معالجة التناقضات التى تفرزها الحياة بين الفرقاء المتعددين ذلك أن الصراع يعنى أن يصرع طرف الطرف الآخر فيخرجه من الساحه، وبذلك تنتفى التعددية وينفرد المنتصر بالميدان «صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ»(٣).

بينما التدافع هو عبارة عن «حراك.. واستباق» يُعدل الخلل الفاحش بين الفرقاء المختلفين، ليعيد العلاقة بينهم إلى مستوى التوازن الوسطى العادل وبذلك ينتفى سكون الموات بين الفرقاء المتعددين وتنجو التعددية من موات الصراع الذى يصرع به طرف غيره من الأطراف: «وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ

(١) الروم/٢٢.
(٢) الحجرات/١٣.
(٣) الحاقة ٧، ٨.

النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الارْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ»[١] "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»[٢].

وقوله تعالى:

".... وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ ..." [٣] أى ولولا أن الله تعالى قد أذن لأهل الحق أن يقاوموا أهل الباطن لعاف أهل الباطن[٤].

ولان التعارف هو غاية التعددية ولان الحوار هو سبيل هذا التعارف بين بنى الانسان كان الحوار فريضه من فرائض الاسلام. والذين يقرأون القرآن يدركون دورة ودور الحوارات المتعددة والمتنوعة المبثوثه فى سورة وآياته فى صياغة «الروح الحوارية» عند الإنسان المسلم تلك التى تجسدت فى علاقات الإسلام وأمته وحضارته مع الآخرين[٥].

إذا اننا نعلم من التنزيل العزيز أن أول حوار نشأ بين رب العزه والملائكة حين أخبرهم أنه تعالى سيجعل فى الأرض خليفه، فقال له الملائكة وهم يحاورونه - [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ] ولم ينته ذلك الحوار، ثم خلق الله بيديه آدم من طين ونفخ فيه من روحه، فشهد آدم بقيه الحوار بل شارك فيه/ حين سمع حوار المولى تعالى مع ملائكته الكرام، وهو يسألهم عن

(١) البقرة ٢٥١.
(٢) فصلت ٣٤.
(٣) الحج ٤٠.
(٤) د/ محمد سيد طنطاوى - أدب الحوار فى الإسلام، ص ٩، ط نهضة مصر ط أولى.
(٥) أ.د/ محمد عمارة: حوار الأديان هو حوار الطرشان جريدة صوت الأزهر العدد السادس والعشرين ٢٤ مارس ٢٠٠٠ م.

الاسماء فلم يجيبوا و[قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلا مَا عَلَّمْتَنَا] فوجه الله عز وجل الخطاب إلى أدم (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ] أنهى الله حواره مع الملائكة بقوله تعالى: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ].

هذه صورة من صور الحوار الايجابى الايمانى عند بدء خلق الإنسان، ولكن كان حين ذلك صورة أخرى للحوار السلبى الكفرى، أعنى ذلك الحوار الذى كان بين البارى تعالى وإبليس – لعنه الله – حين أمره الله بالسجود لأدم فعصى، فقال الله له – وهو يحاوره "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا .... قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ .. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ..."

هكذا جعل الله سبحانه وتعالى من ذاته مثلاً أعلى للإرشاد والقدوة والتوجيه فى مثل موضوع المحاورة. وهى بهذا المقياس أسلوب من أساليب التعليم المتعددة التى يسوقها القرآن الكريم التماساً لكل السبل فى إرشاد البشر وتوجيههم فمع أنه سبحانه وتعالى فى غير حاجة إلى المشورة والرأى إلا أنه يلتمس المشورة والرأى من الملائكة ويجعلهم مستشارين له ليعلم أصحاب الأمر والسلطان ألا يتخلوا عن الشورى مهما تكن الأحوال كما فعل الله سبحانه وليعلم المحكومين أن يبدو رأيهم صريحا واضحاً مهما كان مخالفاً للسلطان، ومهما كانت سلطة هذا السلطان كما فعل الملائكة وليس ذلك للشقاق أو الخلاف ولكنه يعلمهم أن يرجعوا إلى الحق إذا إستطاع السلطان أن يقنعهم بالمحاورة والمنطق كما رجع الملائكة، وألا يتمادوا حينئذ فى الخلاف لان خالفهم إذن سيكون باطلاً، ويريد سبحانه وتعالى أيضاً أن يعلم الناس إلا يستبد

صاحب الأمر برأيه يفرضه فرضاً على الاتباع. بل ينبغى أن يكون سبيله دائماً الحوار والاقناع بالمنطق والحجج، كما فعل الله سبحانه فى إقناعه الملائكة. والرجوع إلى الحق فور ظهوره[١].

كما يحدثنا الله تعالى فى كتابه الكريم عن نماذج للحوار بصورتيه الايمانية والكفرية نشأت بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم منذ نوح وحتى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويضرب الأمثال ويقص القصص ويشرع الأحكام لتكون مسرحاً للنظر والتفكير للوصول بالانسان إلى النتائج الصحيحة.

جاء فيه حوار ابراهيم مع ربه: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى"[٢] وحواره مع أبيه: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا...»[٣].

وحواره مع الملك النمرود: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ»[٤] وحوار موسى مع ربه: «رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ»[٥].
وحواره مع العبد الصالح: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا»[٦].

وحوار عيسى مع ربه:

«سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ»[٧].

---

(١) الحوار فى القرآن.
(٢) البقرة/٢٦٠.
(٣) مريم ٤٢/٤٨.
(٤) البقرة/٢٥٨.
(٥) الاعراف/١٤٣.
(٦) الكهف/٦٦.
(٧) المائدة/١١٦

وحواره مع أمه:

«فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا..».مريم/٢٤.

وحوار نوح مع ربه:

«رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي..»[١] وحواره مع أبنه: «يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا»[٢]. وسورة يوسف تتخذ آياتها طابع الحوار المتنوع من حوار أسرى إلى حوار سياسى إلى حوار استفتائى واسترشادى إلى حوار تجارى إلى حوار قضائى إلى حوار طبى إلى حوار عبادى وكأنها موسوعة من الحوارات فى مختلف المجالات وقارئ القرآن يجد متعه كبيرة فى الحوارات المتعددة التى تفيض بالحكمة والعبره وتعطى الغذاء الوافى النافع من المعرفة والخبرة وكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً نماذج من الحوار وهذا ما سجله القرآن الكريم.

قال تعالى:

«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» سورة المجادلة/١ إن المجادلة فى هذه السورة كانت زوجة ظاهر منها زوجها (على عادة الظهار فى الجاهلية) فأتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجادل فى زوجها وتشتكى إلى الله، وكان الحوار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الشكوى إلى الله، ومن هنا يجب أن ندرك من الموقف السابق أنه حينما يحيط بنا الخطر ويتأزم الموقف يجب أن نتخذ الحوار وسيلة لتصحيح الواقع المأزوم، وعلى أن يكون

(١) هود/ ٤٥.
(٢) هود/٤٢.

﴿ ٣٢٣ ﴾

الحوار تجاوباً وتفاعلاً لتصحيح الواقع، فالحوار يبدأ من الواقع ليرتد إليه مرة أخرى مصححا ليرتد أياه كما تجلى فى الموقف السابق، إنه الواقع الذى يتحدى وينتظر الاستجابة، والاستجابة الناجحة هى التى تحكمها المرجعية العادلة التى تأذن بتغيير أوضاع ظالمة تسود فى مجتمع[١] ظالم وتجعل نور الله مرجعا مصداقا لقوله:

« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»[٢].

فكان هذا الحوار سبباً من أسباب التشريع فى الاسلام كذلك من حواراته صلى الله عليه وسلم حواره مع مولاه زيد بن حارثه: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»[٣].

وحواره مع زوجه: «وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا»[٤].

أيضاً من الحوارات التعليمية التى حدثت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه ما ذكره أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى أحمر وجهه، ثم قال: أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك ما كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا»[٥].

ولم يقتصر حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه بل تعداه إلى

---

(١) د/ فاطمة اسماعيل - الحوار الحضارى ص ١٥ جامعة عين شمس.
(٢) النور/٤٠
(٣) الاحزاب/٣٧.
(٤) التحريم /٣.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ ٤ قسم ٢ ص ١٤١

حوار آخر مع غيره من أصحاب الأديان الأخرى فنجده صلى الله عليه وسلم حين جاءه وفد نصارى نجران وكانوا ستين شخصا وقد سمح لهم أن يدخلوا مسجده وإن يجلسوا فيه بضعه أيام فإذا حضرت صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق على مرآى ومسمع من رسول الله دون أعتراض منه أو منع.

هذا اتجاه الاسلام منذ البداية وهذا هو ما قدمه للمجتمعات الإنسانية منذ اللحظة الأولى التى نزلت تعاليمه وحياً من الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أرس هذا الاتجاه وجعله منهجاً عاماً لاتباعه يأخذون به أنفسهم مع الآخرين من المخالفين لهم فى العقيدة. وأصحاب الديانات الأخرى فالحوار أمر قد قرره الشرع وقد تحقق فعلا وواقعاً فى حياة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه على المستوى النظرى الوارد فى القرآن الكريم كما تحقق على مستوى التطبيق العملى فى حياته صلى الله عليه وسلم حيث أن كل منهج تعليمى من الله سبحانه وتعالى هو تكليف وأمر من الله تعالى لعبادة.

فنجد القرآن الكريم يأمرنا بالحوار مع أهل الكتاب وفتح الجسور معهم من خلال الحوار الهادف إلى بيان الحق وتوضيحه ودعوتهم إليه حرصاً على تحقيق الخير النافع. قال تعالى «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»(١).

(١) آل عمران/٤٦

﴿ ٣٢٥ ﴾

وقوله تعالى:

«وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»(١).

فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أمثل الطرق فى محاجة أهل الكتاب فنهى عن مجادلتهم فى دينهم إلا بالحسنى والجدل الهادى القائم على أقناعهم بأن دين الله واحد، وإن الهنا والههم واحد واننا لا نبغى منهم إلا أن يتبعوا الحق الذى اتبعناه وأن يتركوا العناد والجحود.

يقول سيد قطب:

«من سبل الدعوة إلى الله تعالى الجدل بالحسنى بلا تحامل على مخالف ولا تزيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعى، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبه فى الجدل، ولكن الاقناع والوصول إلى الحق فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهى لا تنزل عن الرأى الذى تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هى عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلاً عن هيبتها وإحترمها وكيانها والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذا الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونه وقيمته كريمة، وأن الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة فى ذاتها والاهتداء إليها فى سبيل الله، لا فى سبيل ذاته ونصره رأيه وهزيمة الرأى الآخر»(٢).

---

(١) العنكبوت/٤٦.
(٢) أ. د سيد قطب، فى ظلال القرآن ٤/٢٢٤. د/ رؤوف شلبى الدعوة الاسلامية، التجربة الاخصاء، الحل ص ١٥٧/ ١٥٨ سلسله قضايا اسلامية معاصرة نشر اللجنة العليا للدعوة الاسلامية ١٩٨٨.

ويجسد القرآن هذا المعنى فى خطابه للرسول المعلم فى قوله تعالى **«وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»**(١).

وليس هذا فحسب بل أمر الاسلام بالتعايش(٢) السلمى بين أبناء البشرية جميعاً على أساس الخير والعدل والتعاون فقال تعالى: **«لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»**(٣).

فهذه هى القاعدة الاساسية للتعايش بين الاديان فقد ذكر البيهقى فى دلائل البنوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام هذا نصه:

«باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران فانى أحمد إليكم إله إبراهيم واسحق ويعقوب، أما بعد:

فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام، ولما أتى الاسقف الكتاب وقرأة قطع به وذعر ذعراً شديداً، وجمع حكماء نجران ليستشيرهم فأجمعوا رأيهم على أن ينطلق وفد من خيرتهم إلى رسول الله بالمدينة فيأتونهم بخبرة صلى الله عليه وسلم ولما أجتمع الوفد برسول الله

---

(١) آل عمران ١٥٩.
(٢) معنى التعايش:- تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمى وعايشه: عاش معه. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل، المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية بالقاهرة حـ٢ ص ٦٣٩، ٦٤٠ دار الفكر.
(٣) الممتحنة/٨.

أخذوا يناظرونه ويحاجونه فى عيسى بن مريم ويزعمون فيه ما يزعمون من الإلهية والنبوة والتثليث وكان أمر النصارى قد اختلف إلى ثلاثة طرائق فريق يقول إن عيسى هو الله، وفريق يقول بأنه ابن الله. وفريق ثالث يقولون بأنه ثالث ثلاثة. وكان على رأس الوفد ثلاثة – هم المقدمون فى الحديث: [أبو حارثه ابن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم] وهم جميعاً نصارى على دين الملك مع اختلاف طرائقهم فى الايمان بعيس كما ذكرناها من قبل.

ولما كلمه الحبران قال لهما رسول الله «أسلما» قالا قد اسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما» قالا: بلى قد اسلمنا قبلك، قال: «كذبتما بمنعكما من الاسلام ثلاثة: ادعاؤكما الله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير فقالا: إن عيسى بن الله، فقال النبى: كذبتم، إن عيسى عبد الله وكلمته، فقالا: أرنا عبداً خلق من غير أب؟ فقال لهم النبى: أدم من كان أبوه؟ أعجبتم من عيسى ليس له أب فأدم ليس له أب ولا أم وأنزل الله عز وجل «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون».

وقيل أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت فى شأن هذا الوفد من نصارى نجران الذى جاء ليحاور الرسول فى شأن عيسى عليه السلام وبعد ذلك الحوار الذى دار بينهم وبين الرسول دعاهم رسول الله إلى المباهلة ولكنهم رفضوها ونزلوا على أمر رسول الله وقبلوا حكمه فيهم وبقوا على نصرانيتهم وقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا، وأحكم فينا بما شئت فإن مثلك لا يحكم شططاً وأبعث معنا رجلا أمينا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا فإنكم عندنا رضا، فبعث معهم النبى صلى الله عليه وسلم أبا عبيده

بن الجراح وقال: هذا أمين هذه الأمه. وكتب النبى لهم كتابا بين فيه مالهم وما عليهم، ورجعوا إلى ديارهم ومعهم كتاب النبى لهم وأمين أمته وهو الصحابى أبو عبيده عامر بن الجراح[١].

ثالثاً: أسس التسامح[٢] والتعايش[٣] فى الاسلام:

يعتبر التسامح فى الاسلام لغة من لغات الحوار السامى الراقى ظهر بظهور الاسلام ودعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة الاصنام. فكانت دعوته المشهورة لهم «**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...**»[٤].

وقد بنى هذا التسامح الاسلامى على عدة أمور نذكر منها ما يلى:

(١) **التعددية فى الاسلام:** إن الاسلام رغم تأكيدة على أن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة فى قوله تعالى «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً**» سورة النساء/١.

---

(١) ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» جـ ١ ص ٣٦٨ طبعه الحلبى.

(٢) فى اللغة/ بذل ما لا يجب تفضلا. الجرجانى - التعريفات ص ١٠٧ وجاء فى لسان العرب لابن منظور جـ ٣ ص ٢٠٨٨. السماح والسماحة الجود والغطاء عن كرم وسخاء. وقيل الحنيفية السمحة ليس فيها ضيق. وقيل التسامح: العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز بإقالة العثرات والحلم عن مقترفى الذلات والصفح عن ذوى الهيئات وإسداء الإحسان وفعل الخبرات. واصطناع المعروف كل ذلك معدود من محاسن العادات ومكارم الاخلاق التى هى خير الصفات. جـ ٤ ص ٣٠١٩.

(٣) هو التعامل الموضوعى على أساس من الاحترام المتبادل بين طرفين بملكان إرادة مشتركة فى التعاون لجلب المنافع وتحقيق المصالح. وفى اللغة تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمى وعايشه عاش معه والعيش معناه الحياة وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ٢ ص ٦٣٩/ ٦٤٠ طبعة دار الفكر.

(٤) آل عمران ٦٤.

إلا أنه سبحانه وتعالى فى الوقت نفسه لم ينكر واقع الاختلاف بين البشر جميعاً ويعتبر أن هذا الاختلاف بين الناس هو أحد سننه تعالى فى خلقه واقع بمشيئته وحكمته.

قال تعالى:

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» المائدة/٤٨.

وقوله تعالى:

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ». يونس/٩٩.

وقوله تعالى:

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» المائدة/٤٨.

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس مختلفين فى معتقداتهم ولا يزالون كذلك إلى يوم الدين لحكمه يعلمها الله. ومن هنا جاء أعتراف الاسلام بالتعددية فديننا الحنيف يعلمنا أن ما عدا الذات الإلهية الواحدة قائم على التعددية ففى الشرائع تعددية يقول تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" المائدة ٤٨

وفى الالسنه والألون والقوميات والجنسيات تعددية «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ» وفى الشعوب والقبائل حتى داخل الدين الواحد والحضارة الواحدة تعددية.

﴿ ٣٣٠ ﴾

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» فالأصل فى الاسلام هو التعددية والاعتراف بالأخر وبذلك لا يجوز أن يكون الاختلاف عائقاً إمام توحيد جهود الناس وتألفهم وتعاونهم فيما بينهم. وينبغى أن تفتح الطريق أمام التوحد والتضامن وصولاً إلى المشاركة والتواصل إلى سعادة البشرية.

فقاعدة التسامح هذه التى يقوم عليها الاسلام هى التى فتحت أمام الأمة الاسلامية السبيل إلى سبل الاحتكاك الواسع بالامم والشعوب وشجعت الحضارة الإسلامية على التفاعل مع الثقافات والحضارات جميعاً بخير الانسانية إذ أن التعدد هو سنه الله فى خلقه لابتلاء الانسان واختباره فالله سبحانه وتعالى ما دام قد خلق للإنسان العقل وما دامت لديه أرادة حرة فلابد من الاختلاف حيث أن الانسان لم يفطره الله تعالى على الايمان كالملائكة فلذلك الاختلاف واقع بقدرة الله وارادته.

(٢) إن الاسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان «لمجرد أدميته حرم» بصرف النظر عن دينه وأصله وقد وردت كثير من الآيات القرآنية التى ترفع من شأن الأنسان وفضله على كثير من المخلوقات قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا».

«لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» التين/ ٤ وهذا التكريم للإنسان ليس خاص بالمسلم فقط ولا بالمسيحى بل هو للإنسانية جمعا باعتبار ذاته وليس لاعتقاده ومن حيث هو تكوين بشرى وقبل أن يعتنق دينا معينا.

هذه النظرة السامية للإنسان – لمجرد كونه انسانا وبغض النظر عن أى صفة

أخرى فيه – تقود على الفور إلى تاكيد حقيقة ثابتة وهى أن الإسلام يساوى بين الناس جميعاً». فالتفرقة بين الناس فيما هو دينوى – حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم، ليست من منهج الإسلام فالناس جميعاً بنص القرآن الكريم قد خلقوا من نفس واحدة كما ذكرنا سابقاً.

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يردد فى دعائه فى صلاة آخر الليل: «اللهم إنى أشهد إنك انت الله لا إله إلا أنت وأن العباد كلهم أخوة».

(٣) أنسانية الانسان:

إن الاسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان "لمجرد آدميته حرم" بصرف النظر عن دينه وأصله وقد وردت كثير من الآيات القرآنية التى ترفع من شأن الانسان وفضله على كثير من المخلوقات.

قال تعالى:

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ..." الاسراء/٧٠

وقوله تعالى:

"لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" التين/٤

وقد بين لنا القرآن الكريم كيف أن الله عز وجل كرم الانسان ونفخ فيه من روحه، ووهبه الحياة، وأسجد له الملائكة وسخر له كل ما فى الكون من مخلوقات.

﴿ ٣٣٢ ﴾

قال تعالى:

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠) إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" الحجر/ ٢٨ - ٣١

هذا التكريم للإنسان ليس خاص بالمسلم فقط ولا بالمسيحى بل هو للإنسانية جمعاء. باعتبار ذاته وليس لاعتقاده بل من حيث هو تكوين بشرى وقبل أن يعتنق ديناً معيناً.

ذلك أن النصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، فهى تارة تتحدث عن الانسان وتارة تتحدث عن «بنى آدم» ومرات أخرى توجه الحديث إلى «الناس» وهذا التعميم لا تخفى دلالته على أى عقل منصف مدرك للغة الخطاب فى القرآن الكريم التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة، فتبين متى يكون الخطاب للإنسان والناس عامه، ومتى يوجه الكلام إلى المؤمنين والمسلمين قبل غيرهم»[1].

هذه النظرة السامية للانسان فى الإسلام تقودنا على الفور إلى تأكيد ح حقيقه ثابتة وهى أن الاسلام يساوى بين الناس جميعاً. وهذا ما اكده رسولنا الكريم ﷺ بقوله [إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالأدباء والأحداد، الناس لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأسود على أحمر ألا بالتقوى"[2]. فلا تفريق من حيث الانسانية بين جنس وجنس ولا بين مسلم ونصرانى ولا يهودى ولا صاحب دين آخر فقضى الاسلام بذلك

(١) فهمى هويدى - مواطنون لاذميون - ط أولى سنه ١٩٨٥ دار الشروق ص ٨١.
(٢) محمد رشيد رضا، الوحى المحمدى، ص ١٦٩ مكتبة القاهرة ط السادسة ١٩٦٠م.

على التعصب للأجناس أو الألوان. بل يوجه جل اهتمامه إلى إنسانية الإنسان فهى قاعدة ارتكاز ينطلق منها الإسلام انطلاقه الحضارى منذ البداية.

فالتفرقة بين الناس فيما هو دنيوى حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم، ليست من منهج الإسلام فالناس جميعاً بنص القرآن الكريم خلقوا من نفس واحدة كما ذكرنا سابقاً.

ولذلك كان الرسول ﷺ يردد فى دعائه فى صلاة آخر الليل:

"اللهم إنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن العباد كلهم أخوة".

أن الاسلام يجعل للإنسان طبيعة مكرمة لا تتقيد بجنس أو دين أو مكانة اجتماعية ومن هذه الطبيعة التى تحددت معالمها فى القرآن الكريم يستمد الانسان حقوقه فلا يصح أن يتعرض إلى اضطهاد أو ظلم أو ايذاء أو تفرقة فى المعاملة بسبب العرق أو اللون أو العقيدة أو الدين. هذه المساواة بين الناس التى أكدها الإسلام لا تقتصر على كونها حقاً للإنسان بل تتجاوز ذلك إلى إدخالها فى إطار الواجب فحقوق الإنسان فى الاسلام تعتبر من الضرورات الواجبة» بحيث يأثم كل من يفرط فيها فهى الإساس الذى يستحيل قيام الدين بدون توافرها للانسان(١).

والدليل على ذلك ما سجلته كتب السيرة والاحاديث الشريفة أن جنازة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فقيل له إنه يهودى، فقال

(١) محمد عمارة - الاسلام وحقوق الانسان سنه ١٩٨٥ ص ١٦/١٤ ادور غالى - الاسلام والاخاء الانسانى ص ٣٥٤ الاسلام ومستقبل الحوار الحضارى القاهرة سنه ١٤٨ ١٩٩٨

مستنكرا: «أليست نفساً»[١].

كذلك جاء في خطبه الوداع:

«يا أيها الناس – إن ربكم واحد، وإن اباكم واحد وكلكم لأدم، وأدم من تراب. إن اكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت: اللهم فأشهد».

وقد أقتفى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هذه التعاليم والتوجيهات النبوية الشريفة اثناء خلافتهم فهذا أبى بكر يوصى أسامة بن زيد قائد أول جيش غزا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عنى لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا أمرأة، ولا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[٢].

فهذه الوصايا التى أوصى بها أبو بكر الصديق جيش اسامة هى مستمدة من تعاليم الدين الاسلامى الحنيف الذى حث أتباعه على أحترام أدمية الإنسان والشفقة والرحمة حتى مع من خالفهم فى العقيدة.

كذلك نجد على ابن أبى طالب عندما وصى الاشقر بن سعد فى حربه ماذا قال له:

---

(١) سنن أبى داود كتاب الجنائز – باب القيام للجنازة ص ٦٤.
(٢) الطبرى تاريخ الامم والملوك. مطبعة الاستقامة ١٣٥٧هـ ح ٢ ص ٤٦٣

قال له الناس صنفان أخواً لك فى الدين – ونظير لك فى الخلق هكذا تشكلت عقلية المسلم فى ضوء فكرٍ دينى يحترم النفس الانسانية ومازالت كلمة عمر بن الخطاب ماثله فى أذهان المسلمين «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار» وقد أصبحت هذه المقولة المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الانسان.

(٤) حرية العقيدة:

مع تقرير الإسلام الأخوة بين المؤمنين جميعاً وتكريماً للإنسان بما هو إنسان على اختلاف أجناسه وشعوبه وألوانه نراه يعلن منذ البداية أن حرية اختيار الدين والعقيدة مكفولة لجميع الناس بصورة قاطعة لا تحتمل لبساً ولا تأويلاً فسبحانه وتعالى يقول:

"لا إِكْرَاهَ [1] فِي الدِّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

---

(١) يؤكد بن تيمية أنها آية محكمة وعامه: "وجمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة ، وانما النص عام فلا نكره أحداً على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فان أسلم عصم ماله ودمه ، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحد على الاسلام لا ممتنعا ولا مقدوراً عليه. ولا فائدة في اسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الاسلام" والمتدبر للنص القرآني بعضه مع بعض يخرج منه إلى اقرار الاسلام للحرية الدينية وأجمع جمهور الفقهاء على أنه لا يجوز الاكراه على الاسلام إذا كان المكره ذمياً أو مستأمناً وأن هناك فرق بين مشروعية قتال الحربي لرد عدوانه ودفع أذاه ، وبين أكراهه على تغيير عقيدته بالقوة فالأول مستساغ ، والثاني لا يقبله منطق.
ابن تيمية رسالة القتال. ضمن مجموعة رسائل مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ – تفسير الألوس جـ٦ ص ١٥٤.
أ.د/ أمنة محمد نصير – موقف الاسلام الحضاري في قضية الحرب والسلام.
مجله الزهراء سنة ١٩٨٩ ص ٤٨.

وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى[١]".....

وقوله تعالى:

"وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ[٢] ".....

وقوله تعالى:

"لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ[٣]"

وليس هذا فحسب. بل القرآن الكريم جعل الانسان مسئولاً مسئولية كامله عن اختيار عقيدته الدينية وينفي أن يكون الجبر سبيلاً لتحصيله حتى ولو كان هذا الجبر من الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شئ فقد ضمن الله للإنسان أن يحرره من هذا الجبر المقدور له سبحانه وتعالى: حيث قال:

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ[٤]"

واعمالاً لحرية العقيدة في الإسلام كانت الدعوة إليه سبحانه بالحسنى وهو ما أكده القرآن الكريم في عدة آيات.

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ."

---

(١) البقرة ٢٥٦.
(٢) الكهف ٢٩.
(٣) الكافرون ٦
(٤) يونس ٩٩ تفسير الزمخشري جـ١ صـ ٣٨٧ طبعة بيروت دار الفكر صورة عن طبعة الحليم

وقوله تعالى:

"وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ."

والرسول ﷺ حين دعا إلى الإسلام منذ بداية الدعوة قال لهم:

"يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله."

لم يقل لهم أدعوكم إلى ترك دينكم أو عدم شرع دعوتكم وانما قال لهم:

"شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا[1]"

حيث أدرك الرسول ﷺ والصحابة مما علمهم القرآن أن العقائد لا تستقر في النفوس بالقهر والترهيب وإنما تستقر بالاقناع والاقتناع لأن العقيدة التي يكره عليها المرء يكون أشد عداء بها وأكثر حرصاً على هدمها والتخلص منها ومن هنا كان التوجه الالهي إلى النبي ﷺ إذا وجد من أهل الكتاب أو غيرهم معارضة ألا يجبرهم على شئ وإنما يوجههم فحسب قال تعالى-:

"فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" آل عمران/٢٠.

---

(١) الشورى ١٣.

وقوله تعالى:

"فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ."

ويكفي أن ندرك أن الحق تبارك وتعالى قد بين لنبيه ﷺ أن مسئوليته تقف عند البلاغ والتذكير وذلك في قوله تعالى:

"فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر" الغاشية ٢١/٢٢ يقول الامام محمد عبده عن هذه الآية المحكمة "إنها تحدد الأمرالذي بعث الله لأجله نبيه ﷺ وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم ، فليس في سلطانه ، عليه السلام أن يخلق الاعتقاد فيهم ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيباً على قلوبهم ، ولا مسيطراً، أي متسلطاً ، عليهم فالقهر لا يحدث إيماناً ، والإكراه لا أثر له في الدين .[1]"

وقد وضع المسلمون هذا المبدأ " لا إكراه في الدين" موضع التطبيق على مدى أربعة عشر قرناً.

وقد فهم الرسول ﷺ هذا التنبيه الالهي فكان عليه السلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم، ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد ، وتشغل مكاناً مشتركاً فقد كان يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً ، ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن إقراضه ، فإن بعضهم كان ثرياً ، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ﷺ وإنما كان يفعل ذلك تعليماً للأمة ، وتثبيتاً عملياً لما

(١) الأمام محمد عبده ، الاعمال الكاملة جـ ٥ صـ ٣٩٦ دراسة وتحقيق د/ محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

يدعو إليه من سلام ووئام ، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم.[١]"

وقد سار الصحابة والمسلمون على نهج النبي ﷺ والتزموا بقول الله-:

"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" فقد حدثنا تاريخ عمر بن الخطاب بأنه قد أوصى رجاله بأن يعيشوا وأبناء الديانات الأخرى في وئام وسلام وأن ينظروا إلى الانسانية نظرة مشاركه وأنها ميراث لكل فرد يعيش على الأرض نصيبه منه ومن ذلك أن الخليفة الثاني قد أعطى أهل المقدس الأمان العام للأنفس والأموال وسائر المله والكنائس فأصدر أمراً مشدداً بألا تسكن الكنائس وألا ينقص منها ولا من خيرها ولا من الصلبان وشمل الأمر ألا يكره المسيحيون على دينهم ولا يضار أحد منهم .. فضلاً عن هذا فإن الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بغير المسلمة من أهل الذمة وجعل لها من الحقوق ما للزوجة المسلمة فرخص لها بالبقاء على دينها وعلى معتقداتها ، بل وحرم على الزوج أن يكرهها على ترك دينها أو يمنعها من الذهاب إلى معبدها أو كنيستها ، ولها الحق في القيام بصلواتها وعباداتها وسائر شعائر دينها.

ونسوق مثالاً هنا على أن المسلمين لم يكرهوا أحداً من سكان البلاد التي فتحوها على اعتناق الاسلام إذ يرى بعض المؤرخين أن المصريين لم يتحولوا إلى أغلبية مسلمة إلا فى القرنين الثالث عشر والخامس عشر رغم أن الفتح العربي الاسلامي لمصر تم في سنة ٦٤٠م فهذا دليل على أن التحول

(١) أحمد محمد الحوفي - سماحة الإسلام - القاهرة سنة ١٩٥٨ - ص ٨٧، ٨٨

إلى الاسلام قد تم بدون إكراه.[١]

كذلك إذا كان الاسلام يستند في وجوده إلى القوة لكان يقوى بها حيث تكتمل ويضعف حيث تتكمش ولكن التاريخ ثبت أنه ظل يغزو البلاد والشعوب حتى في أيام ضعف حكوماته وذهاب قوتها. بل لقد زالت الأمة الاسلامية الموحدة في الوقت الذي بقي فيه الاسلام فتيا قويا فالامم الاسلامية الآن تشكو ضعفها في الوقت الذي يشق الاسلام طريقه إلى بلاد الغرب ويغزو عقول الغربيين فها نحن نشاهد في هذا العصر انتشاراً للإسلام في أوروبا وأمريكا ولا تكاد تخلو دولة من وجود آلاف المسلمين فيها والملايين وذلك لبساطة الاسلام وعدله وأحكامه ووضوح تعاليمه.

فالاسلام في غير حاجة إلى أن يكره إنساناً على الدخول فيه فهم في هذا العصر فوق الآلف مليون نسمة منتشرين في أنحاء الكرة الأرضية وانما هم في أشد الحاجة إلى تقوية الإيمان في قلوبهم والتمسك بأحكام دينهم وهذا هو السبيل الوحيد لانتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً. فالإسلام وصل إلى جنوب أفريقيا وانتشر في شبه القارة الهندية بالقدوة الحسنة والمعاملة العادلة والأسوة الطيبة بهؤلاء التجار من المسلمين الذين لم يستعملوا سيفاً ولا شنوا حرباً وإبادة وإنما كانت قوتهم في أخلاقهم وحسن معاملتهم وحين فتح المسلمون بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد شمال أفريقيا والأندلس لم يكرهوا أحداً من أهلها على الدخول في الإسلام وإنما دخول فيه لما رأوا فيه من عدالة الحكم ومساواة بين الناس[٢] نخرج من هذه الاشارة الموجزة عن

---

(١) طاهر عبد الحكيم " الشخصية الوطنية المصرية "ط أولى سنة ١٩٨٦ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع صـ ٩٧.

(٢) إبراهيم أحمد الوقفي: السماحة في الإسلام والمسيحين. دار الفكر العربي ص ١٨.

علاقة الرسول والمسلمون بالأمم الأخرى أنه كان يسود فيها العلاقة الطيبة وأن الإسلام لا يعرف الاكراه طالما لا تبادر هذه الأمم بالاعتداء والعدوان.

هذا هو الإسلام كفل حرية الاعتقاد وممارسة الطقوس والعبادات وقام على أساس إنساني شامل لا يعترف بالتعصب العرقي أو اللوني جمع بين العربي والرومي والفارسي والحبشي بصحبة الرسولﷺ .

فليس من العدل والانصاف أن يصفه الغرب بالتطرف أو بأنه قام بالسيف وبنى مجده على الحروب والقتال. وتفسير الجهاد [1]بأنه تقتيل وتذبيح وافناء للبشر. فلنراجع تاريخ الاسلام منذ قام النبي بالدعوة إلى الله فقد ظل في مكة يدعو إلى الله ثلاثة عشر عاماً يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لم يحمل سيفاً ولم يشهر سلاحاً في وجه الكفار وتبعاً لتعاليم ربه "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ .....**" "**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا**" وقوله "**اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة....**" إلى غير ذلك من آيات الصبر والتحمل.

وهنا نجد أن الرسول تحمل الأذى وعنت قريش وكبرياءهما ولكنه كان يقرعهم بالحجة الواضحة ويسكتهم بما أوتي من فصاحة وبيان. وبما

---

(١) تعريف الجهاد: هو قتال غير المعاهدين من الكفار إذا رفضوا الإيمان بالله ورسوله أو رفضوا الدخول في عهد أو ذمة ليا من المسلمون شرهم. فمفهوم الجهاد في الاسلام كما أجمع عليه الفقها والعلماء المسلمين هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل لاعلاء كلمة الله تعالى وحضوره له ، أو دخوله أرضه له. وقد فرض الجهاد على المسلمين لنصرة الاسلام بعد وجود مقتضيات من قبل العدو.
فالباعث عليه هو رد العدوان أو المحافظة على جماعة المسلمين أو لرفع ظلم الحكام الذين يقفون عقبة كأداء في سبيل انتشار الدعوة الاسلامية والصد عنها حتى يقضي على الفتنة في الدين ، وتعلو كلمة الحق وتسود مبادئه.
أ.د/ آمنة محمد نصير ، موقف الاسلام الحضاري في قضية الحرب والسلام ، مجلة الزهراء العدد السابع سنة ١٩٨٩ ص ١٣/ ١٤

ينزل عليه من القرآن ولقي أصحابه معه ألوان الأذى والعنت من قريش على أيدى الجلادين ومنهم من لقي الله شهيداً."ومع ذلك لم يعتد عليه السلام على أحد ولا أكره أحداً ولا مارس أي نوع من العنف وقد نهاه الله تعالى ومن معه من المسلمين عن القتال. فقال جلت حكمته "**كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ**" وعندئذ "**انقهر المسلمون للأمر، وكفوا أيديهم ولم يسجل التاريخ حادثة فيها دافع مسلم في مكة عن نفسه السيف، مع كثرة الدواعى الطبيعية إلى ذلك وقتها.**[1]"

ولقد كان التزام المسلمين بالكف عن القتال عسيراً لأن اعتداءات المشركين واستفزازاتهم كانت لا تطاق ولكنهم امتثلوا لأوامر الله ورسوله. فلم يقاتلوا أحداً. ولا أحسب أنني بحاجة إلى سرد ما لحق ببلال بن رباح من العذاب، وما حاق بعمار بن ياسر من تعذيب ولقد فزع نفر من عتاة مكة إلى عبد الله بن مسعود وأوسعوه ضرباً لا لشئ سوى أنه تجاسر وقرأ شيئاً من سورة الرحمن عند المقام [2]وهذا رسول الله ﷺ نفسه يتعرض للاعتداء الجسيم الغاشم على يد "عقبة بن أبي معيط" أحد جبابرة المشركين في مكة في محاولة لقتله في أثناء صلاته فما كان منه عليه السلام إلا أن جعل يقول:

"**اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش.**[3] "!

ومع هذا لم يؤمر المسلمون بالقتال حيث كان الجهاد القتالي في أول الاسلام وقبل الهجرة ممنوعاً إذ كان النبي ﷺ مأموراً بالصفح والصبر وكذلك

---

(١) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٤.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ صـ ٣١٤ : صـ ٣١٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ صـ ١٥٢.

من تبعه بقوله تعالى:

"لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمُور" آل عمران آية ١٨٦. والسلبية في هذه المرحلة ضرورة اقتضتها ظروف المسلمين وضعفهم في مكة قليلوا العدد مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس يقول ابن كثير **"إن المسلمين لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً منهم فلو أمر المسلمون بقتالهم وهم أقل من العشر لشق عليهم.**[1]"

ويجب أن يتضح أن هذه السلبية في المقاتلة لم تكون مبدأ وانما كانت ضرورة عاشها المسلمون في هذه المرحلة والدليل على ذلك أنه في بداية المرحلة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة مباشرة إذ نزل قول الله تعالى:

"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ(٣٩)الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" الحج/٣٩، ٤٠

فالله سبحانه وتعالى حين إذن لهم في الذي كفهم عنه بين السبب في الإذن وهو أنهم ظلموا خلال المرحلة الملكية التي انتهت باخراجهم والاستيلاء على أموالهم.

يقول ابن اسحاق "كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ، ولم تحلل وانما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح

(١) تفسير ابن كثير جـ ٦ صـ ٣٤٦.

عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من أتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد فراراً منهم فلما عتت قريش إذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت هذه أول آية نزلت في إذنه له بالحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم .[1]"ثم توالى الوحي بالقرآن حتى صرح بفرضية الجهاد في قوله تعالى: **"كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"** البقرة/٢١٦

وأكده الرسول ﷺ بقولهِ الصريح:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ."

ولكن مع هذا الأذن بالقتال والرخصة من قبل الله فيه إلا أنه وضعه سبحانه وتعالى في حدود وجعله في ضوابط.

فالقتال لا يكون إلا للضرورة القصوى كالدفاع عن النفس وهذا حق طبيعي بالبقاء ومن المسلمات التي يؤمن بها القانون السماوي والأرضي على السواء وهي من حقوق الدولة الحاضر فحق البقاء وحق الدفاع الشرعي وحق المساواة وحق الحرية كذلك يعتبرها الاسلام تأميناً لدعوته وإباحة لحرية الاعتقاد ويتخذ من القتال حصناً يقيه اعتداء المعتدين ليبلغ للناس كلمة التوحيد التي جاء بها الرسول فكل ما يمنعه من تبليغ دعوته ويحول بينه وبين هداية الناس يجب قتالة ليفسح الطريق أمام الدعوة.

---

(١) د/ أحمد عبد الرحمن: "الا سلام والقتال " دار الشرق الاوسط للنشر صـ ٢٢.

قال تعالى:

"قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...." التوبة/٢٩.

وقوله تعالي: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إلا عَلَى الظَّالِمِينَ" البقرة ١٩٣.

وقد جعل الله نبيه في موقف المدافع الذي يرد العدوان ولا يعتدي فقال: "فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين "

كما بين له أن طرد المسلمين من ديارهم ومبادئهم بالعدوان ونقض عهودهم كلها أمور كافية لقتالهم.

قال تعالى:

"ألا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣)قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ...." التوبة ١٣/١٤ بل لقد جعل الله قتال المشركين وسيلة لكف شرهم ليكفوا عن المسلمين أيديهم ويعتزلوهم قال تعالى:

"فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلا...." النساء/٨٤

"وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ" النساء/٩١.

وفوق هذا علم الله رسوله أن يكتفي برد العدوان في قوله تعالى:

"فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" البقرة/١٩٤

هكذا لا يعرف الاسلام حرب العدوان وانما هي حرب دفاعية وقائية وليست حرب انتقام أو اغتصاب أرض أو أذلال طائفة من الناس تهلك الحرث والنسل بل هي حروب مقدرة بالضرورة لدفع العدوان. فالاسلام شرع الحرب على أنها وسيلة لاغاية لحل مشكلات المجتمع في وقت كانت القوة الغاشمة هي العائق الوحيد الذي يقف أمام دعوة الحق .[1]فالاسلام يدعو في المقام الأول إلى السلام ولكن حين يصبح السلام غير قادر على حماية العقيدة أو صيانة الحياة أو الدفاع عن الوطن فالحرب شر وضرورة موقوتة.

قال تعالى:

"وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ"

وقال سبحانه:

"فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا."

(٥) اعتراف الاسلام بالرسالات السابقة عليه وهذا اكبر دليل على سماحة الاسلام وأمانته حيث ذكر لنا مسلسل الرسل. وبين لنا ما جاء به الرسل من كتب منزله من عند الله وما دعت إليه. فبين أنها كلها خرجت من مشكاه واحدة.

«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»[2]

---

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي مقدمة كتاب الجهاد في القرآن لدكتور/ عطية الدسوقي عمر بدون تاريخ مؤسسة الشعب.

(٢) الشورى ١٣.

وقوله تعالى: "مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ"(١).

ولا يعبر القرآن الكريم عن الدين بصيغة الجمع بل دائماً يبدأ بالمفرد تأكيداً لمعنى أنه دين واحد بالرغم من تعدد رسله ورسالاته.

يقول تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..."(٢)

وفى كل هذه الآيات دعوة لأهل الكتاب تحمل كل معانى الترغيب فى الاسلام الذى يتفق فى أصوله ومقاصده مع ما دعا إليه جميع الانبياء السابقين. والأحاديث النبوية تؤكد معنى تتابع الرسل لدين الله ومنها قوله ﷺ "الانبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى"(٣).

هكذا يعترف الاسلام بجميع الرسالات السابقين ويعتبر اليهود والنصارى أهل ديانة سماوية حتى وإن لم يكن هذا الاعتبار متبادلاً. وعلى الرغم من أن عدم الايمان بنبوه محمد ﷺ هو عندنا أمر عظيم وشأن خطير، بل هو أمر فارق، فإن الاسلام قد استوعب هذا الخلاف، لا بالتهوين من أمره، أو المهادنة العقيدية له ولكنه بما رسمه فى باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد"(٤).

---

(١) فُصلت ٤٣.
(٢) المائدة ٤٨.
(٣) صحيح البخارى ح٣ ص ٣٥٤، مسند الامام أحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٤٠٦.
(٤) د/ حسان حتحوت "رسالة إلى العقل العربى المسلم" ص ١٥٣ دار المعارف، القاهرة الطبعة الأولى لسنة ١٩٩٨م.

(٥) إن اهتداء المهتدين وضلاله الضالين يكون الحساب على هذا فى الأخرة فالمحاسب والمجازى هو الله سبحانه وتعالى. فإن الأمر لله فالهداية ليست فى استطاعة البشر ولذلك جاء القرآن مبيناً أن الهداية ليست من وظيفة الرسل. كما قال تعالى «**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**» القصص/٥٦ «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء» وان مهمة الرسول هى الانذار والتبشير ووظيفته توضيح السبيل والاقناع بالحجة وليس عليه بعد ذلك ان تبعه قومه أو انصراف اخرون. فلن يسأل عن ضلالتهم ولن يحاسب على اعتراضهم قال تعالى "**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**" الفرقان/١.

وقال فى تحديد وظيفة الرسول "**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**" البقرة/١١٩.

ومن هنا كانت دعوته إلى أهل الكتاب كما أبلغه الله سبحانه وتعالى فى سماحه ويسردون إجبار على شئ فان دخلوا فى الاسلام بمحض ارادتهم فبها ونعمت وإن أمتنعوا وعاندوا واستمروا على ما هم عليه فلا شأن للرسول بهم بعد أن بلغهم الرسالة جاء هذا التوجية الإلهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا وجد من أهل الكتاب معارضة ألا يجبرهم على شئ وإنما يوجههم فحسب قال تعالى:

«**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**» أل عمران/ ٢٠.

وقوله تعالى:

"وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" البقرة/ ١١٣.

فالحكم يوم القيامة يكون لله تعالى فالمسلم يترك الحكم إلى الله فى الأخرة.

(٦) العدل بين الناس:

إن الاسلام دعا إلى العدل والتعاون بين الناس جميعاً هذا العدل الذى يبلغ به الاسلام إلى حيث يجعله إسماً من اسماء الله الحسنى. وقد جعله الله تعالى فريضه فهو واجب حتى مع الاعداء لأنه مطلب أنسانى قال تعالى:

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» المائدة/ ٨ وقوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» النحل/ ٩٠ وقوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» النساء/٥٨.

فالاسلام يأمرنا بأقامة العدل بين الناس جميعاً بغض النظر عن ديانتهم أو جنسهم أو لونهم والقرآن الكريم زاخر بالآيات العديدة التى تأمرنا بالعدل والقسط حتى مع الاعداء جاء فى كتب الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين عاماً» ووصف ابن تيمية

العدل بقوله:

«إن العدل نظام كل شئ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به فى الأخرة».

وبناء على مبدأ المساواة بين الناس جميعاً وضع الاسلام اساس التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى القاعدة الذهبية وهى «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

وأكتفى هنا بدليل على المساواة الإشارة إلى قصة الصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما وقع عليه من اعتداء بالضرب من ابن عمر بن العاصى، فأمر بأن يقتص القبطى من ابن حاكم مصر. وقبل أن تعرف الدنيا شيئا أسمه حقوق الإنسان، قال عمر بن الخطاب عبارته التى ظلت تقرع اسماع الزمان على مدى أربعة عشر قرناً.

«ولم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» هذه العبارة الخالدة لم تعرفها المجتمعات الغربية إلا عند ما قامت الثورة الفرنسية سنه ١٧٨٩ وأصدرت إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن يولد الناس أحراراً ومتساوين فى الحقوق وهذا التسامح الذى بينه لا يعنى تذويب الفوارق بين الاسلام والآخر أى بين التوحيد والتثليث نعم نؤمن بالمسيح ولكن نأخذ عليهم تأليه المسيح لقوله تعالى:

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» المائدة/ ٧٣.

فهذه الآية الكريمة توضح الفارق بين موقف بعض فرق النصارى التى تعتقد التثليث حقيقة وبذلك يكفرون وإن كان الاعتقاد فيها على أى وجه يثير شبه الشرك والكفر فإن الاسلام يعلن توحيداً خالصاً تشوبه أى شائبة من الشرك ونقرأ ذلك واضحاً[١] فى قوله تعالى فى سورة الأخلاص **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** سورة الاخلاص.

ومن هنا ندعوا إلى التسامح ولكن يحافظ كل منا على عقيدته هذه قضية لابد منها فلا نفرط فى ديننا وننافق ونقول هذا حق.

فالتسامح الاسلامى ليس مدعاة لفقدان هويتنا أو الذوبان فى عقيدة الآخر. بل لابد من المحافظة على الخصوصية والأحتفاظ بالذاتية بل نعنى بالتسامح تحديداً أن تكون لكل طائفة فى المجتمع الإسلامى الحرية فى تأدية شعائر دينها. وان يكون الجميع أمام قوانين الدولة الاسلامية سواء، وإذا نظرنا إلى الاسلام من حيث مبادئه وتعاليمه الأصلية نجد أنه هو أرقى الأديان فى تحقيق مبدأ التسامح الذى هو القاعدة الأولى للتفاعل الحضارى[٢] هكذا يدعونا الإسلام إلى احترام حق الآخر فى ممارسة حقوق الإنسانية من حرية فى العقيدة وفى الرأى وفى التعبير ولابد أن نعلم أن هذا التسامح والبر والود مع هؤلاء قائم على أفضل سبيل إذا لم يكن هناك عدوان من هذا الأخر على العقيدة ومحاربه لها ولم يكن هناك ظلم للمسلمين واضطهاد لهم ومحاولة لاخراجهم من أرضهم بسبب هذه العقيدة.

---

(١) د/ السيد محمد الشاهد: المسيحية والاسلام من الجوار إلى الحوار ص ٢٠٩ ط أولى ١٤٢١هـ دار الأمين.

(٢) أحمد أمين - يوم الاسلام، دار الكتاب العربى بيروت سنه ١٩٥٢ ص ١٨٠/ ١٨١.

وفى النهاية أرى أنه ما أحوجنا فى زماننا هذا إلى كثير من التسامح المتبادل بين ديانات الشعوب المختلفة تسامحاً مبنى على الاحترام المتبادل وليس ناتجاً عن اختلافات أو اهمال.

أما إذا حدث العكس وكان العدوان على المسلمين وقتالهم ومحاولة إخراجهم من ديارهم أو التأمر عليهم ونصرة أعدائهم. فإن الله عز وجل ينهى المسلمين نهياً قاطعاً عن موالاة هؤلاء أو مسالمتهم أو الركون إليهم. ومن يفعل ذلك من المسلمين فهو ظالم لنفسه ولدينه ولأمته، وهو يستحق عقوبه تعادل هذا الظلم، والظلم تتعدد صفاته ومراتبه حتى ان الشرك اعتبر ظلماً وذلك فى قوله تعالى [... **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**] لقمان/١٣. لقد وضع الإسلام قاعدة للتعامل مع هؤلاء فقال عز وجل من قائل [... **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**] البقرة/١٩٤.

وقد نظلم أنفسنا ونظلم الشرائع إذا لم نحقق السلام الداخلى فى المجتمعات البشرية ونصحح المفاهيم الخاطئه السائدة فى الوقت الراهن.

٧ – أرى أنه من أهم الاسباب التى تدعوا إلى التسامح فى الاسلام هو أن الإسلام ينفرد عن غيره من سائر الأديان بأنه دين لكافة المخلوقات من الإنس والجن فى شتى العصور فإنه دين الفطرة التى لم يطرأ عليها فساداً أو أنحراف: قال تعالى:

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» الروم/٣٠

وهذه هى خصوصية الإسلام ولابد من بيان ثبوتها للإسلام هنا إذ أنها المؤهل الذى يحمله الاسلام للدعوة إلى الله تعالى على كافة المستويات وفى

مختلف الأزمنه. وأن من أهم الحقائق المسلمة التى لا جدال فيها أن الاسلام هو دين الانبياء جميعاً ابتدأ بآدم أبى البشر عليه السلام واختتم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الشرائع السماوية تشترك فى الأصول العقائدية والاخلاقية ولا خلاف بينهما اطلاقاً فى ذلك.

[وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] الانبياء/٧

وقوله تعالى:

[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ] الشورى/١٣

والدين عند الله الإسلام فى كل الأديان قال تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ» ال عمران/ ١٩

قال تعالى:

«آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». البقرة/٢٨٥

هكذا بين لنا القرآن الكريم إن وحدة الأديان بوحدة مصدرها وغايتها فالذى تلقاه خاتم الرسل هو فى جوهرة ما تلقاه الرسل من قبله.

قال تعالى:

«مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ» فصلت/٤٣ ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى فى شأن نوح عليه السلام: "فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ". يونس/٧٢

وفى شأن أبو الأنبياء نبى الله ابراهيم وولده أسماعيل قال تعالى:

«وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» البقرة/ ١٢٧.

وقد أمر الله ابراهيم بالاسلام فأسلم ويشهد لذلك قوله تعالى فى شأن ابراهيم: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» البقرة/ ١٣١ وفى شأن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب قال تعالى فى شأن الدعوة إلى الاسلام التى أمر بها ابراهيم عليه السلام:

[وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١٣٢)أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] البقرة ١٣٢/١٣٣.

وفى شأن موسى ومن أمن به سحرة فرعون جاء قوله تعالى:

قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ(١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ] الأعراف ١٢٥/١٢٦.

وفى شأن سليمان قال تعالى مخبراً عنه [فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ] النمل ٤٢.

وفى شأن نبى الله يوسف يقول تعالى:

[رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] يوسف/١٠١.

فى شأن عيسى عليه السلام والحواريين من أنصاره يقول الله تعالى [فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] آل عمران/ ٥٢-٥٣

وفى شأن محمد آخر الرسل قال تعالى [قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]. الانعام/١٦٣

ومن أصرح الأحاديث النبوية التى تدل على وحدة الديانات السماوية ووحدة الهدف والغاية مع كل الانبياء قوله صلى الله عليه وسلم «مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل بيت أكمل بناؤه إلا من لبنه وكلما مر عليها ملأ من الناس يتعجبون ويقولون ما أحسنه ما أجمله لولا هذه اللبنه فأنا خاتم النبين وأنا هذا اللبنة] اذن ليس هناك خلاف بين الاسلام بمفهومه العام ومفهومه الخاص من حيث الأصول التى قام عليها كل منهما ولا من حيث الغاية المستهدفة منهما للبشر والإنسانية وإنما الاختلاف بينهما من حيث الوسيلة فقط فى التبليغ أو المنهج فلم يختلف الاسلام كدين نزل على محمد صلى الله عليه

وسلم عن الأديان الإلهية السابقة عليه إلا من حيث أنه قد اكتملت جميع حلقاته وفصوله التشريعية على يد هذا النبى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره خاتم الرسل. والانبياء. قال تعالى [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**] المائدة /٣.

فأصبح الاسلام الذى جاء به من عند ربه خاتم الأديان السماوية وتحقق بذلك أيضاً أكتمال الوسيلة والغاية معاً. ومن هنا كان أرسال الرسول صلى الله عليه وسلم منعطفاً تاريخياً فى حياة الناس جميعاً وتحولاً حضارياً متميزاً فى نهج حياتهم وتعاملتهم. تحول الخطاب فيه من قومية الاديان ومحددية مقصادها من حيث انفراد كل دين بتشريعاته الخاصة بأهل زمانه اقتضتها ظروف عصره ووقت انزاله حيث كان الرسول يبعث لقومه فقط ففى شأن دعوة نوح عليه السلام نجد قوله تعالى [**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**] نوح/١.

وقال تعالى عن دعوة هود إلى قومه [**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**] الأعراف/٦٥.

وفى شأن دعوة صالح عليه السلام جاء قوله تعالى [**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**] الأعراف/٧٣.

وفى دعوة شعيب عليه السلام جاء قوله تعالى [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**] الأعراف/٨٥.

وعن دعوة موسى قال تعالى:

[**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**] إبراهيم/٥

وقوله تعالى أيضا [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ] الصف/٥.

وعن دعوة عيسى عليه السلام قال تعالى [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] الصف/٦ ومن هنا كان الخطاب القرآنى موجهاً إلى بنى اسرائيل بالمجادلة، وإلى الكفار والمشركين وعبده الأصنام والأوثان بالمناقشة فى معتقداتهم الباطلة ودعوتهم إلى صراط الله المستقيم ولهذا كان التأكيد على عموم الدعوة نذكر منها قول النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

[أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة(١).

ومنها ايضا قوله صلى الله عليه وسلم

[والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار](٢).

هكذا اختلف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن كل الرسالات إذ كان فى المقام الأول للناس كافة فى حين كانت تلك الرسالات لا قوام

(١) رواه البخارى فى صحيحه جـ ٤٣٦/١ كتاب اللتيمم ط السلفية.
(٢) رواه مسلم فى صحيحه جـ ١٣٤/١ كتاب الايمان - باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس.

بعينهم والله سبحانه وتعالى يقول: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] سبأ/٢٨.

وقد فسر الإمام محمد عبده فى كتابه فى رسالة التوحيد ذلك قائلاً:

[إن الأديان الأولى خاطبت الحس يوم كانت الانسانية فى طور الطفولة لا يعرف الانسان فيها (إلا ما يقع تحت حسه، ولا يتناول بذهنه من المعانى ما يبعد عن لمسه، فلما سار مركب الأنسانية وجربت ولبست وتخالفت واتفقت وتقلبت فى السعادة والشقاء ونما فيها الوجدان وبدت العواطف جاءها دين يتحدث عن الزهادة والصفاء وملكوت الله. لكن البشرية فى صراعها لم تستطع أن تعيش على الأيثار ولم يطل مقامها فى الصفاء فحلت القطيعة محل التراجم وحل الخصام مكان المسالمة فجاء دين ينظم الشئون كلها ويرعى الحس والعاطفة، ويعنى بالعقل. والقّلب وينظم شئون دنياهم وآخرتهم ذلكم هو الدين الاسلامى[1].

ومن هنا كان جوهر الدين الإسلامى يرتكز على أن الخطاب موجة للناس جميعاً وليس لقبيلة أو قوم أو حتى المسلمين فقط كما أشرنا إلى ذلك من قبل بل إن القرآن يخاطب البشر كلهم بلا استثناء والدليل على ذلك أن كثيراً من آياته تبدأ بنداء إلى الناس كافة: يقول تعالى [يَاأَيُّهَا النَّاسُ]

[يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...] هذا الخطاب ليس موجهاً للمسلمين فقط ولا للمؤمنين فقط ولكن للجنس البشرى برمته.

(١) الامام محمد عبده رسالة التوحيد ص ١٥٤.

ولم ترد كلمة قوم فى الخطاب القرآنى [قوم محمد، أو قوم مكة] كما كان فى حق الرسل السابقين مثل قوله تعالى:

[وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ..] فالخطاب الموجه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مصاغ بصيغة مختلفة تماماً عما ورد بالنسبة لجميع الأنبياء والرسل السابقين لقد وجه الله سبحانه وتعالى خطابه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بتعبيرا آخر مثلما جاء فى هذه الآية الكريمة: «قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» لماذا هذه الصيغة بالذات للرسول صلى الله عليه وسلم لأن الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الدين الخاتم فلذلك وجه إليه الخطاب بصيغة جامعة للناس كافة بقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» أن عالمية الاسلام مبدأ دينى مقرر من أول مجئ الاسلام وقد أعلن القرآن والسنه هذه العالمية ولم يكن هذا الأعلان أخذاً صورة التدرج من وضع إلى وضع كما فى التشريعات أو فى معالجة بعض المشكلات الدنيوية والعقيدية كالخمر والربا أو متمشياً مع الظروف والأصول أخذاً بالحيطه والحذر وانما كان الشأن فى إعلان عالمية الاسلام كالشأن فى إعلان الوحدانية التى اعلنها الإسلام منذ أول يوم له بكل وضوح وجلاء.

فمن النصوص الأولى المكية ما قرر أن القرآن الكريم جاء ذكرا للعالمين، وأن محمد مبعوث إلى الناس كافة وذلك فى ثالث السور نزولاً بمكة فى قوله تعالى:

[وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ] وفى سورة ص وهى مكية يعلن القرآن عن مبدأ العالمية فى قوله تعالى [إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ] ويأمر

الله نبيه بأن يعلن أنه رسول الله إلى الناس أجمعين.

[قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**] إن القرآن ليس إنذار للعرب وحدهم ولكنه انذار للعالميين بل إنذار إلى كل حى على وجه الأرض فى كل مكان وزمان[1].

[**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**] وفى سورة الصف وهى مدنية.

قوله تعالى: [**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**] وبناء عليه فقد ثبت مبدأ عالمية الاسلام من أول عهد الدعوة الاسلامية ومن نصوص السنه. ومن هنا كانت مهمته صلى الله عليه وسلم أن يوصل تلك الدعوة إلى الناس كافة ويعرف العالم بها وسلك الاسلام طريقة حضارية سلمية فى الدعوة لعالميته حيث ارسل الكتب إلى ملوك وأمراء الأمم الأخرى التى لم يصلها دعوته من أهل الكتاب. يدعوهم أن يدخلوا هم وشعوبهم فى دين الله ويبينون لهم مبادئ هذا الدين وقواعده. وحين فكر النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة الملوك إلى الاسلام خرج ذات يوم على أصحابه فقال:

[أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمه وكافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم. فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يارسول الله؟ قال:

---

(١) د/ سليمان سليمان الديشة / الدعوة إلى الاسلام ورسائلها ص ٣٠ دار الهدى سنة ١٤٠١ - ١٩٨٠م.

دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرض وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكرة وجهه وتثاقل فشكى ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها»[١] فالتبليغ برسالة الاسلام جزء لا يتجزأ من عالميته الاسلام باعتباره الرسالة الخاتمة.

ومن ثم بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم إرسال البعوث وإدارة الحوار بين أتباعه وأصحاب الاديان الأخرى.

فبعث «دحية ابن خليفة الكلبى» إلى قيصر ملك الروم وبعث «عبد الله بن حذافه السهمى» إلى كسرى ملك فارس، وبعث «عمرو بن أمية الضمرى» إلى النجاش ملك الحبشة، وبعث «حاطب بن أبى بلتعة» إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث «عمرو ابن العاصى السهمى» إلى جيفر وعياد ابن الجلندى الأزديين ملكى عمان،....؟][٢].

هكذا تثبت عالمية الدعوة بنصوص القرآن والسنة والتاريخ كعقيدة مقررة من قبل الوحى أوحى بها الله تعالى إلى رسوله محمد فى أول أمر الدعوة وفى شتى مراحلها فمن انكر العالمية فقد انكر جزء من الدين وركنا من أركانه.

وبقى هنا أن أقيم الدليل العقلى الواقعى على هذه العالمية فأقول:

«إنه لو ان الاسلام دين غير عام وغير خالد لما ظل البشر أربعة عشر قرناً دون رسول أو بنى ولكان هذا مخالف لسنه الله سبحانه وتعالى فى عبادة، وقد

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ١٣٤.
(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٤٣. تاريخ اليعقوبى ٧٨/٧٧/٢ احمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى: أنساب الأشراف جـ ١/ ٥٣١ طبع دار المعارف ١٩٥٩م.

كان تعالى يرسل الرسل والانبياء على فترات متقاربة وقصيرة فلو لم تسمع البشرية نبى أو رسول طوال الأربعة عشر قرناً الا يدل هذا على أن الاسلام قد ختم الرسالات السماوية وأن كلمة الله الأخيرة لعبادة.

روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «كانت بنو أسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى» وما دام لا نبى بعده لعدة قرون، فالاسلام دين عالمى. ومن هنا كانت مهمة المسلمين جميعاً الدعوة إلى الله تعالى بالحوار والجدل بالحسنى حتى ينتقل البشرية من عزلة المجتمعات وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها. حيث سمع الناس لأول مرة فى تاريخهم الانسانى فكرة المجتمع الانسانى الواحد فى قول الرسولَ صلى الله عليه وسلم.

[يا أيها الناس إن ربكم واحد وأن أباكم واحد، كلكم لأدم، وأدم من تراب ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لابيض على أسود إلا بالتقوى، إن أكركم عند الله أتقاكم».

وهذه الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التألف بالتعارف وإلى ترك التعادى بالتحالف.

هذا هو الموقف الاسلامي الذى يعترف بالأخر الدينى ويؤمن بكل النبوات والرسالات السابقة [لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ] البقرة/ ٢٨٥.

ويقر بالتعددية فى الشرائع والاختلاف فى الملل سنه من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل وحساب المخالفين انما هو لله سبحانه وتعالى، يوم الدين. ومن هنا كان الحوار فريضة دينية.

قول الرسول ﷺ:

[يأيها الناس إن ربكم واحد وان أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إن أكركم عند الله أتقاكم].

هذه الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التأليف بالتعارف وإلى ترك التعادى بالتحالف"(١).

يقول الراعية الاسلامى الكبير فضيله الشيخ محمد متولى الشعراوى فى ذلك:

لعل العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحمله الاسلام من فكر متقدم فى حقوق الإنسان، وحقوق المواطنه وحرية التدين، وإنكار التصفيات العرقية، لأن لكل إنسان حق الحياة الكريمة التى يؤدى فيها واجباته ويأخذ حقوقه، إن الاسلام هو صاحب مبدأ الوحدة الوطنية بين الأكثرية والأقلية، بين المختلفين فى العقائد على السواء"(٢).

هذا هو الموقف الاسلامى الذى يعترف بالآخر الدينى ويؤمن بكل النبوات والرسالات السابقة [لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه] البقرة/٢٨٥

ويقر بالتعددية فى الشرائع والاختلاف فى الملل سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل وحساب المخالفين انما هو لله سبحانه وتعالى يوم الدين ومن هنا كان الحوار فريضة دينية والتسامح لغة من لغات الحوار السامى الذى ظهر بظهور الاسلام إذن انه لمن الانصاف للإسلام ولنبى الاسلام أن يقابل أهل الديانات السماوية الأخرى هذه المرونة وهذه الشمولية فى الاسلام

---

(١) محمد رشيد رضا. الوحى المحمدى ص ١٦٩. مكتبة القاهرة الطبعة السادسة ١٩٦٠م.

(٢) الشيخ محمد متولى الشعراوى، يوميات الأخبار ١٩٩٣/٧/١٦م.

بمثلها على الأقل فى مجال الاعتراف به كدين سماوى أو بمحمد ﷺ نبى الاسلام كواحد من أولئك الأنبياء الذين بعثهم الله دعاة وهداية إلى البشرية جمعاء. يجب أن يصحح من جمعت بيننا وبينهم العقيدة السماوية نظرتهم إلى الاسلام.

رابعاً: الهدف[١] من الحوار:

بعد أن بينا معنى الحوار والجدل والعلاقة بينهما والحوار فى القرآن الكريم وأساس هذا التحاور الدينى بالحسنى يجدر بنا الآن أن نبين الهدف من من الحوار الآن وخاصة الغرض من دعوة الغرب له إذ أنه ما من شئ إلا وأن يكون له غاية وهدف وثمرةٍ مرجوة فما هو أذن الهدف من هذا الحوار هل هناك فائدة تعود علينا من ذلك بما يخدم قضايانا [فالحوار إما أن يكون وسيلة لتنفيس أزمة ومنع أنفجارها، أو أن يكون سعياً لاستباق وقوع الأزمة ومنع تكوّن أسبابها، وإما أن يكون محاولة لحل أزمة قائمة واحتواء مضاعفاتها][٢].

أم هو مجرد حوار داخل غرف مغلقة وليس له أى أثر فى المجتمعات [أن الحوار لابد له من فاعلية اذ انه لا قيمة له إن لم يتحول إلى فاعلية عملية ترى النور وتترجم فى سلوك يغير مجرى الحياة وينقل الإنسان من وضع إلى وضع أفضل][٣].

---

(١) هو أصل الحاجات والمصالح والمنافع التى اقتضت الوقفة الحوارية فهى تمثل ثمرة للتفاعل والتحاور، فهى الغاية ومحطة الوصول.

(٢) محمد السماك. مقدمة إلى الحوار الاسلامى المسيحى ص ٧٩ دار النفائس ط أولى لسنة ١٩٩٨.

(٣) د/ زكى نجيب محمود/ هذا العصر وثقافته، مقالة من الكلاموجيا إلى التكنولوجيا ص ١٦٩ دار الشروق ط أولى ١٩٨٠م.

يذكر الأمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين ان من شروط وجوب صحة المناظرة والحوار:-

"أن الأنسان يناظر من يتوقع الاستفادة منه فلا يناظر من أجل المناظرة أو الشهرة أو أظهار الغلبة"(١). خاصة وان مفهوم الحوار بمعناه الذى ذكرناه سابقاً وهو أن يجلس ممثلين لشعوب وحضارات على طاولة النقاش للوصول إلى مفاهيم مشتركة أرى أن هذا المفهوم لم يكن موجود الآن فهو من التراث أو من الماضى. أما الحوار بمفهومه المعاصر فهو يعتمد على تقنيات وصراعات من خلال استخدام اللعبة السياسية والآلية العسكرية. بل أصبح محاولة فرض هيمنه ونمط حياة. أصبح الغرب هو صاحب المبادرة إلى هذا الحوار فى اشكاله المتعددة وبصيغه المتنوعه سعياً منه إلى أهداف رسمها وإلى غايات حدودها. لأننا كما قلت سابقاً بازاء دعوة صادرة من جهة تملك شروط القوة الاقتصادية والنفوذ السياسى والقدرة على صنع الحدث والتحكم فى مساره. وهنا نسأل كيف يتم هذا الحوار فى ظل الاختلال الهائل فى التوازن بين هذا العالم متمثلاً فى الغرب والعالم النامى. فلا شك أن هذا الاختلال فى التوازن وعدم التكافؤ بين الطرفين يؤدى إلى اختلال فى الحوار لا محاله. حيث أن عدم تكافؤ المستوى الحضارى لابد أن يؤدى حتماً إلى محاولة هيمنه طرف على آخر هذه الهيمنه نتيجة طبيعية لا تعود لقوة القوى بل تعود بالدرجة الأولى لضعف الضعيف لذلك المبادرة دائماً بالحوار تأتى من الغرب أما نحن فمدعون ليس لنا خيار يحدد لنا المكان ويحدد لنا الموضوع فكيف اذن يكون الحوار يذكر لنا محمد السماك فى كتابه مقدمه إلى

(١) الامام الغزالى: أحياء علوم الدين حـ١ ص ٥٥/٥٨.

الحوار الإسلامى المسيحى قائلاً:-

[فى الأساس يحتل المحاور المسيحى موقع الغرب إلى طاولة الحوار وهو موقع فوقى، يعكس تقدم الغرب التقنى وتفوقه السياسى والعسكرى والأقتصادى وغلبته المعنوية على الشرق، ويجد المحاور المسلم نفسه فى موقع يعكس حالة الضعف التى تنتابه كما يعكس حالة عدم الرضا على هذه الحالة التى يحمل الغرب مسؤوليتها. ومع هذا اللاتكافؤ واللاتوازن تجرى الحوارات][1] إن الحوار لا يصح أن يكون بين سيد وعبد، أو بين آمر ومأمور، بل ينبغى أن يكون حواراً تتكافئ فيه الأطراف يعتز فيه كل طرف بثقافته وهويته الخاصة فى الوقت الذى تتلاقى فيه المصالح وتتظافر فيه الوسائل لتحقيق هذه المصالح والأهداف المشتركة.

ومن الجدير بالذكر أن أنبهّ هنا إلى أن الحوار أمتد عبر قرون طويلة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الأخرى كان يتميز بالندبة فى الأخذ والعطاء، ومن المعلوم أن الحضارة الاسلامية فى هذه المرحلة كانتا هى الأقوى وهى المنتصرة لكنها لم تسمح فى حوارها مع الغير أن تكون لغتها فوقية استعلائية بحيث تشعر الآخر بالدونية كما هو حاصل فى الحضارة الغربية الآن.

فقد أرسى مجتمع المدينة المنورة، فى عهد النبى ﷺ قاعدة لإقامة نسق تعاونى بين شتى فئات الناس من مؤمنين وأهل كتاب ويهود. الوثيقة النبوية أقرت أصحاب الآراء على آرائهم، وتكفلت بحمايتهم كما هى.

(١) محمد السماك. مقدمة إلى الحوار الاسلامى - المسيحى - ص ٨١.

كذلك يؤكد التاريخ أنه حين تحقق الحوار والتواصل والتسامح فى العصر العباسى فى الشرق، قامت حضارة إنسانية رائعة. وكذلك حين تحقق الحوار والتواصل والتسامح فى العصر الأموى فى الأندلس، قامت كذلك حضارة إنسانية رائعة. وهذه الحضارة الشرقية وتلك الحضارة الأندلسية كلتاهما قد عادت بالنفع لا على المسلمين وحدهم، وإنما على المسلمين وعلى غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

وليس هذا فحسب بل أن الحوار بين ثقافات العالم كان فى معظم فترات التاريخ حواراً سلمياً ما عدا فى الفترات التى سادتها الحضارة الغربية سواء فى عصر الاسكندر أو فى عصر أباطرة روما أو فى العصر الاستعمارى الحديث.

إن تاريخ الصراع بين الغرب والشرق يمتلئ بصور شتى من عنف الإنسان الغربى وهمجيته واعتدائه على حرمات الآخر ونهب ثرواته وتخريب البنى الاقتصادية والاجتماعية له[1].

لقد كتب جارودى أروع مؤلفاته بعنوان "حوار الحضارات" واصفاً ما صنعه الغربيون طوال تاريخهم بشعوب العالم الأخرى بأنه صنع "الشر الأبيض" وأطلق هذا الوصف وصف "امبراطورية الشر الأبيض" على الغربيين وهو أدق وصف يمكن أن توصف به أمم الغرب طوال تاريخها فهى الأمم التى كانت دائمة السطو على انجازات الآخرين ودائمة الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعاوى فارغة. فهى تتعامل

(١) أ.د/ مصطفى النشار. ضد العولمة. ص ٨، ٩ دار قباء القاهرة ط أولى لسنة ١٩٩٩.

مع شعوب العالم من منطلق القوة وفرض الرأى.

ان الغربيين منذ فجر حضارتهم فى اليونان القديمة كانوا عنصريين ينظرون إلى الآخرين نظرة استعلاء. ولا تزال هذه النظرة الغربية للآخرين هى السائدة رغم كل ما يطفو على السطح من قيم يروجها الإعلام وليس من الواقع فى شئ. وإذا كان ذلك كذلك فإن الحوار لا يمكن أن يقبله الغربيون إلا فى ظل وجود القوى المتكافئة فإن كنت قوياً بما فيه الكفاية فهناك مساحة للحوار والتفاهم وإلا فلتقبل ولتذعن لكل ما يقال لك بدون مناقشة أو ابداء رأى آخر. وهذا ما نراه اليوم ولعلنا بذلك نكون قد فهمنا الدرس. فالحوار لا يكون إلا بين قوى اقتصادية وعسكرية متكافئة. هذا هو المنطق الوحيد الذى يفهمه الغربيون(١).

وأضرب المثال على ذلك انه فى مطلع القرن العشرين وبعد أن أحكمت أوربا قبضتها على العالم الاسلامى أعلن مفكروها ما كان يدور بينهم فى الخفاء وصرحوا بما كانوا يضمرونه للعالم الاسلامى. وسوف توضح لنا هذه النصوص لغة الغرب فى حواره معنا وأهدافه ومقاصده من محاورتنا:-

يقول المفكر الفرنسى هانوتو:

بعد احتلال فرنسا للجزائر مباشرة: لقد أصبحنا اليوم أمام الإسلام والمسألة الإسلامية وجهاً لوجه أنه لا يوجد مكان على ظهر الأرض إلا وأجتاز الإسلام فيه حدوده منتشراً فى الآفاق فهو الدين الوحيد الذى أمكن انتحال الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذى يفوق شدة الميل إليه والتدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه إن هذا الدين قائم الدعائم ثابت الأركان فى أوربا عينها

(١) المرجع السابق ص ٥٢.

ثم يقـول:-

"لقد صارت فرنسا فى صلة مع الاسلام فى كل مكان بل صـارت فـى صدر الاسلام وكبده ليس الاسلام فى داخلنا فقط بل فى خارجنـا أيضـاً قريـب منا فى مراكش قريب منا فى طرابلس الغرب قريب منا فى مصـر. ولا يـزال الهلال الاسلامى ينتهى طرفاه من جهة بمدينـة القسـطنطينية ومـن جهـة ببلـده فاس فى المغرب الأقصى معانقاً بذلك الغرب كله ... إن هذا الديـن القـائم فـى الاستانه حيث عجزت المسـيحية عـن اسـتئصاله مـن هـذا الركـن المنيـع الـذى يحكـم منـه علـى البحـار الشـرقية ويفصـل الـدول الغربيـة بعضـهـا عـن بعـض شطرين أنه لابد من العمل على تفكيك تلك الرابطة التى تجمـع بيـن المسـلمين شرقاً وغرباً على سطح المعمورة فتجعل منهم أمة واحـدة وهـى رابطـة الديـن لابد من العمل على إضعاف تلك الروح التى تحرك المسـلمين مـن سـباتهم إن رابطة الإخاء الجامعة بين أفراد المسلمين شرقاً وغرباً كفيله بأن تجعل المسـلم فى شرق الأرض يهب لنصره المسلم فى غربها فهى عامل مؤرق لفرنسا فـى المستعمرات التى تخضع لها"[1].

هذا النـص يحمـل فـى كلماتـه أهـداف ومقـاصد الغـرب كلـه مـن حـواره معنـا وليست فرنسا وحدها، وليس هانوتو إلا واحداً من المشتغلين بحوار الغرب مع الشرق قد تختلف العبارة والأسلوب أما الهدف والمقصد فكان ولا يـزال محـل اتفاق بينهما جميعاً.

أما المثال الثانى وهو ليس ببعيد تلـك المقارنـة التـى كتبهـا صموئيـل

(١) الامام محمد عبده/ الاسلام دين العلم والمدنية. تحقيق طـاهر الطنـاحى لجنـة التعريـف بالاسلام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ط ١٩٦٤ ص ١٩/١٧.

هنتينفتون أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد جو ن م أولين للدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفرد، ونشرتها مجلة "فورن أفيرز" الأمريكية لسنة ١٩٩٣م بعنوان "صراع الحضارات" وهى مقالة تحذر شعوباً من شعوب بسبب من ثقافاتها ويرى كاتبها أن ثقافات بعينها – وفى طليعتها ثقافة الأسلام وحضارته – هى مصدر الخطر وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته بل هى العدو الواجب محاربته والقضاء عليه. وقد نالت هذه المقالة منذ نشرها شهرة مدوية، حتى قيل إنها أصبحت الخطة "الاستراتيجية" للولايات المتحدة فى مواجهة تحديات المستقبل. وتوالت عليها الردود المؤيدة"[1].

ومما يفيد معرفته هنا أن دعاه الحوار من النصارى لا يجعلون الحوار بديلاً عن التنصير ولا يرون كذلك ان دخولهم فى الحوار مع غير النصارى يعنى تسليمهم عدم اعتراف آليات لصحة أديانهم وبحرية تقرير المصير الدينى إذا صح التعبير كلاً فإن جميع المؤشرات تفيد أستمرار جهود المنصرين لادخال جميع سكان الأرض، وبخاصة المسلمين فى دين المسيح هذا من جانب ومن جانب آخر فإن تبنى الحوار كآلية فى مخاطبة الشعوب غير النصرانية ينتج عنه فيما نتج ترجمات كثيرة للكتاب المقدس لتوائم الاتجاه الكنس الجديد التى روعى فيها ظروف المخاطبين وثقافاتهم يعتبر أمتداد، أو جزءاً من خطة الكنيسة الجديدة فى أقتحام العوالم غير النصرانية.

فلم يكن التبشير موجهاً إلى المسلمين وحدهم، ولكن الاسلام كان ينال فى الحقيقة أكبر الجهود وأكثر الاهتمام وهذا ما صرح به كثير من القائمين

(١) صماموبل هنتنجتون – صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمى – ترجمة طلعت الشايب – سطور للطبع والنشر ١٩٩٧ م ص ١١٠.

على أمر التبشير وقد قيل فى ذلك "ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين، أيضاً، فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون وكان هؤلاء يتمنون أن ينصروا المسلمين جميعاً رجالاً ونساء[١] وما يزال هذا هدفاً معلناً لبعض الكنائس الغربية ويمكن الإشارة هنا إلى مؤتمر كلورادو الذى انعقد بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨ تحت عنوان، مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين، وقد صدر عن هذا المؤتمر كتاب ضخم فى عام ١٩٧٩ يتضمن خلاصة تساعد كما جاء فى مقدمة الكتاب "على إنارة الدرب الصحيح فى عملية تنصير المسلمين وقد انتهى المؤتمر "بعد أن ملأ المؤتمرين بروح الأمل، وشجعهم على السير قدماً نحو هدفهم الكبير، وهو العمل على تنصير آل: ٧٢٠ مليون مسلم"[٢].

يقوم جورافسكى بصدق:-

"أن تنظر الشعوب الغير أسيوية إلى الدعوة الجديدة للحوار من جانب الكنيسة بعين الشك والحذر، حيث ترى فيها غطاء أيديولجيا بالدرجة الأولى"[٣].

كذلك يقول بعضهم:

".... لقد حدد لنا المسيح برنامجنا، ولمحبتنا له فنحن مجبرون أن نلتزم - أيضاً - بالتفويض الذى منحه للكنيسة لتنصير العالم الاسلامى كذلك هناك من يرفض من تباع الكنيسة مبدأ الحوار من اساسه لان الحوار يتناقض

(١) حـ/ مصطفى الخالدى، د/ عمر فروخ - التبشير والاستعمار فى البلاد العربية المكتبة العصرية - بيروت ط ١٩٨٢ ص ٤٥.
(٢) ترجم الكتاب بعنوان: التنصير خطة الغزو العالم الاسلامى نقلاً عن الحوار المسيحى الاسلامى دراسة لاحدى الوثائق. د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور ص ١٢٦.
(٣) نفسه.

مع الوظيفة التى يجب على الكنيسة أن تنهض بها وهى العمل على جذب الناس بكل الوسائل إلى النصرانية وإدخالهم فيها ولا يصح التفريط فى القيام بذلك لا لسبب من الأسباب كذلك يخشى بعضهم من الحوار، لما يمكن أن يترتب عليه من آثار عكسية تضر بالمسيحية، وتؤدى إلى جذب المسيحيين أنفسهم إلى دائرة الاسلام ورغم أن الفاتيكان قد اصدر وثيقة فى عام ١٩٦٥ قد تحدثت صراحة عن أن الحوار ليس له غاية تبشرية إلا أنها لم تكتم رغبتها فى إلجام الأصل الشمولى للإسلام والخطط المعلنة عن تنصير أفريقيا أو العالم.

فالفاتيكان مثلاً لم يعترف ببنوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الآن بل إنه تكلم بحذر شديد وتحفظ كبير عن الاسلام اذ لم يرد فيها اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم أو لفظ القرآن أو الإسلام. وإنما انصب كلام الوثيقة عن المسلمين وكأنهم بلا نبى وبلا كتاب مقدس وبلا تاريخ.

لقد صورت الوثيقة المسلمين وهى تتحدث عنهم وكأنهم أيتام يبحثون عن أب يرعى شئونهم وهذا الموقف يجعلنا نسير نحو الحوار ببطء شديد وتوجس كبير فى نفس الوقت(١).

خاصة وأن الزيارات المتتابعة لبابا روما إلى بلاد كثيرة بعضها إسلامية. كل ذلك يشهد بأن الغاية التبشرية مستمرة وأنها لا يمكن ايقافها وهذه المواقف لا شك تلقى بظلال كثيفة على الحوار بصفة خاصة وعلى العلاقة بين الاسلام والكاثوليكية على وجه العموم.

---

(١) د/ محمد أبو ليلة – الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الاسلام والغرب القاهرة ٢٠٠١م القسم الثانى ص ١٤٦.

ويقول هؤلاء:

"إن المحاورة التى تتم بأمانة وصراحة، وبدون عداوة، أو حلول مسبقة، قد تقود إلى كسب النصرانى إلى جانب المسلم ... وإذا كانت طبيعة المحاورة هذه تعنى أن تحويل النصرانى يجب أن يكون احتمالاً قائماً فإن عديداً من المنصرين يرفضون هذا الحوار[١] وهناك فريق آخر. لا يتخذ موقفاً مبدئياً بقبول الحوار أو رفضه ولكنه يقبله قبولاً مشروطاً، هو أن يكون الحوار وسيلة أو طريقة من طرق التنصير، فإذا لم يكن كذلك - فإنه لا يمكن قبوله أو اللجوء إليه. وقد قيل فى ذلك، إنه:-

"لا يوجد شك فى أن الحوار الذى هو وسيلة لكشف معتقدات وحاجيات شخص آخر هى نقطة بداية شرعية للتنصير. قد استخدمت على هذا النحو منذ عهد المسيح... "واذا كان الحوار سيؤدى إلى استمالة الناس إلى المسيحية فلا بأس به[٢]" ويرى بعض هؤلاء أن الحوار قد يستخدم بوصفه مرحلة من مراحل الدعوة إلى المسيحية، وسيكون عندئذ "أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التى تكون فيها النصرانية هى الخيار الحقيقى. واذا كان الأمر كذلك فإنه "اذا شعرنا بأن شكلا من أشكال الحوار يمكن أن يكون مفيداً لكسب المسلمين فعندئذ يكون مهما أن نبدأ الآن فى تخطيط كيفية القيام بذلك[٣].

ومعنى ذلك أننا إزاء مواقف متفاوتة من الحوار مع المسيحيين ويحتاج الأمر إلى موقف أكثر وضوحاً وتحديداً، يوحى بالثقة ويدفع إلى

---

(١) دانيل آربروستر: الحواريين النصارى والمسلمين، وصلة الوثيقة بالتنصير" ضمن التنصير خطة لغزو العالم الاسلامى ص ٨٢٨.

(٢) نفسه.

(٣) المرجع السابق.

المشاركة ويساعد على الانفتاح على الآخرين دون مخاوف أو محاذير. خاصة وأن العقيدة الإسلامية تتضمن اعترافاً صريحاً بالرسالات السابقة وتشترط ضرورة الإيمان بأصحابها.

قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ"(١).

ولكن الوثيقة التى أصدرها الفاتيكان لا تعترف بوضوح وصراحة بأن الاسلام دين إلهياً كما أنها لا تعترف ببنوه محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا هو المنطق الذى تقوم عليه عداوة النصارى وكذلك اليهود للمسلمين يريدون تجريدنا عن الاسلام عن طريق التنصير مرة أو العلمانية مرة أو العولمة مرة يريدون تجريدنا من الإسلام باعتباره الهوية المميزة لأمتنا والشوكة التى جعلتنا نستعصى على الإلحاق والزوبان.

أن الدين هو اهم أسباب العداء الشديد وأساس المعركة التى يشنها اليهود والنصارى فى كل أرض وفى كل وقت ضد الجماعة المسلمة إنها معركة العقيدة هى المشبوبة بين المعسكر الاسلامى وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها دائماً فى المعركة ضد الاسلامى والمسلمين"(٢) تلك حقيقة شهدت بها آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: "وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ

(١) البقرة (٢٨٥).
(٢) أ. سيد قطب: فى ظلال القرآن حـ١ ص ١٠٨.

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ"(١).

فالنصارى. ومن قبلهم اليهود – لن يرضوا عن المسلمين ويسالمونهم ويبذلون المحبة والود إلا فى حالة واحدة هى أن يترك المسلمون إسلامهم فذلك هو الثمن الوحيد الذى يرتضونه وما عداه فمرفوض ومردود، وذلك ثمن لن يدفعه المسلمون أو يقبلوا به تحت أى ظرف من الظروف.

فالذى يخشاه المنصرون من الصحوة الإسلامية هو بعث الحضارة الإسلامية وتحكيم الشريعة الاسلامية ويرون أن الاسلام منذ ظهوره فى القرن السابع يمثل تحدياً لكنيسة يسوع المسيح. ومن ثم جعلوا تدمير الإسلام رسالة حياتهم حتى إن أحدهم ليرى أن الصحوة الإسلامية هى التى جعلت الغرب يستدعي نصرانيته المنبوذة فى بلاده والمعزولة فى عمرانه"(٢).

لذلك فهم جميعاً يتخذون وسائل شتى وطرق متباينة وأساليب متنوعة – لإطفاء نور الاسلام ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً قال تعالى:–

"وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا".

ولا ينبغى أن يظن أحد أن قوله تعالى:

"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا

---

(١) البقرة /١٢٠.

(٢) محمد عمارة، الاسلام والتحديات الجديدة ص ٧٠ دبى سنة ١٩٩٣.

وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ"[١].

يدل على أن هناك مودة فى قلوب النصارى تجاه المسلمين لأن ذلك إنما ينطبق على طائفة معينة من النصارى وليس على كل النصارى، وهذه الطائفة هى التى آمنت بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ودخلت فى الإسلام بدليل قوله تعالى:

"وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ"[٢].

ولذلك قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدى: المراد به – أى بالذين قالوا إنا نصارى فى الآية السابقة – النجاشى وقومه الذين قدموا من الحبشة على الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ولم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين[٣] ومن ثم "فليس كل من قالوا: إنا نصارى داخلين فى ذلك الحكم "ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا" كما يحاول أن يقول من يقتطعون آيات القرآن دون تمامها، إنما هذا الحكم مقصور على حالة معينة لم يدع السياق القرآنى أمرها غامضاً ولا ملامحها مجهلة ولا موقفها متلبساً بموقف سواها فى كثير ولا قليل" فهؤلاء يعرفون للإسلام قدره

(١) المائدة /٨٢.
(٢) المائدة ٨٣ : ٨٥.
(٣) تفسير الفخر الرازى حـ١١ ص ١١١.

ويحفظون للقرآن الكريم مكانته لأنهم قرأوا فى كتابهم الانجيل عن عقيدة الاسلام والنبى الذى جاء به، وكتابه الذى يصدق ما جاء به الانجيل.

ولقد شهدت وقائع التاريخ منذ مجئ الاسلام بعداوة النصارى الشديد للمسلمين وحقدهم عليهم وكيدهم لهم: وسأتناول فيما يأتى بعض المواقف التى تؤيد ذلك والتى تتناول العلاقة التاريخية بين الاسلام والمسيحية.

أولاً : فى صدر الاسلام:

عندما ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية أحست الكنيسة بخطورة هذا الدين. وبدأت عداوة النصارى للمسلمين وتوالت لديهم الرغبة فى القضاء على الاسلام وأهله فقد أخذ الروم – النصارى – يتجمعون فى الشمال هم وعمائلهم من الغساسنة ليقضوا على هذا الدين وذلك بعد أن قتلوا الحرث بن عمير الأزدى أحد بنى لهب رسول النبى صلى الله عليه وسلم إلى عامل بصرى من قبل الروم، وكان المسلمون يؤمنون الرسل ولكن النصارى غدروا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوه، مما كان سبباً فى غزوة مؤته التى شهدت تجمعاً للروم بلغ مائة ألف منهم ومعه من عملائهم فى الشام من القبائل العربية النصرانية مائة ألف أخرى، وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، وكان ذلك فى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة(١).

ولم يكتف النصارى بذلك بل راحوا يعدون العدة لضرب الاسلام فى شمال الجزيرة العربية ضربة ترده من حيث جاء فجهزوا جيشاً بضم نصارى الروم ونصارى الشام، وقد أرادوا فى هذه المرة أن يسبقوا المسلمين إلى

(١) سيرة ابن هشام حـ ٣ ص ٢٠٣ ص ٢١٣. البداية والنهاية لابن كثير حـ ٤ ص ٦٨٦ ص ٧١.

الحرب مستغلين ما وقع من ضيق وعسر وحدب لكثرة الحروب التى خاضوها وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم تجمعهم لحربه، فأراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه، وأمر المسلمين بالتجهز لغزوهم، وكان صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة إلا ورّى بغيرها ليعمى الأخبار عن العدو إلا فى هذه الغزوة، فإنه أخذ بنمقصده فيها، لبعد الشقة وكثرة الشر فيأخذ الناس عدتهم، ويعلموا أنهم قادمون على عدو قوى فيوطنوا أنفسهم على حربة، ولا يهنوا اذا التقوا به.

فجمع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ألفاً، ثم سار بهم فى السنة التاسعة من الهجرة حتى وصل إلى (تبوك) فأقام بها نحو عشرين ليلة، وكان لمبادرته بهذا الجيش أثرها فى صرف أولئك النصارى عما كانوا قد عزموا عليه، فلم يجد منهم أحداً يحاربه، ولم يشأ أن يثير حرباً عليهم هذه المرة شفقة بالمسلمين فيما كانوا فيه من ضيق وعسر(١). لكن الافاعى خرجت من جحورها بعد عودة النبى صلى الله عليه وسلم وبدأ النصارى والروم يعتدون على المسلمين، فصلب هرقل – ملك الروم أمير أيلة "يوحنا بن رؤية" لانه عقد مع النبى صلى الله عليه وسلم صلحاً، كما قتل مزوة بين عمرو الجذامى لأنه اسلم وأصر على الاسلام(٢).

ولم يقف النصارى عند هذا الحد وهو كاف فى الدلالة على ما تكنه صدورهم من عداء للإسلام والمسلمين بل تحالفوا مع المجوس. فقد قاتلوا مع

(١) المرجع السابق.
(٢) سيرة ابن هشام حـ ٤ ص ٨٩ : ٩٠ د/ أحمد الحوفى سماحة الاسلام ص ١٥٩.

الفرس فى معركة "الولجة"[١] وهؤلاء النصارى من العرب لا من الروم، وقد انهزم الفرس وتكبدوا خسائر جسيمة، وأصيب كثير من نصارى بكر بن وائل فغضب لهم حلفاؤهم وقرروا الانضمام إلى الفرس ضد المسلمين فلما بلغ خالداً تجمعهم أسرع إلا ملاقاتهم فى موقعة (أليس) حيث أنزل بهم كارثة جعلت دماءهم تخالط ماء النهر، فسمى إلى اليوم نهر الدم هكذا تحالف النصارى مع المجوس ضد الاسلام وفى هذا الموقف الدلالة على الرغبة الأكيدة لدى النصارى فى القضاء على الاسلام وأهله، حتى انهم ليفضلون وثنيه المجوس على هذا الدين الحق المرتبط بوحى السماء والذى يعترف لعيس عليه السلام البنوة والرسالة، ويعترف لأمه بالطهارة والنقاء.

ويعلق الشيخ محمد الغزالى على هذا الموقف من النصارى بقوله:

"إذا كان المسيحيون يحسبون أنفسهم أهل كتاب نزل من السماء، فأى حرج يصيبهم لو أنهم تركوا المسلمين - الذين يزعمون أنفسهم أصحاب دين سماوى - ينتصرون على المجوس الذين يصارحون بأنهم لا صلة لهم بالسماء وكتبها؟!

إن الرسوم ناوشوا الأكاسرة طويلاً فعجزوا عن إسقاط ملكهم، وقد حزن المسلمون قديماً لما أصاب المسيحية من هوان على أيديهم.

فهل بلغ حقد آباء الكنيسة أن يحالفوا أعداء الأمس كيما تواتيهم الفرصة للقضاء على دين التوحيد فيخلوا الجولوثية فارس وللطقوس المبهمة التى سميت أخيراً مسيحية؟ إن ذلك - على أى حال - ما سجله التاريخ!" [٢].

(١) ابن كثير البداية والنهاية حـ ٦ ص ٨٩٩.
(٢) الشيخ محمد الغزالى: التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ص ١٦٥.

وإذا كان النصارى يتحالفون مع المجوس، ويفضلون وثنيتهم على الاسلام فلقد فعل ذلك اليهود من قبل حين أخبروا كفار قريش بأنهم على الحق وأن محمداً صلى الله عليه وسلم واتباعه على الباطل، وذهبوا يؤلبون أحزاب الكفر ضد المسلمين.

فقد أرسى الاسلام مبادئ العلاقات وترجمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلانها فى شكل بنود معاهدة لليهود ... والتزم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون بتطبيقها دون الأخلال بشئ منها ... ولركن اليهود كانوا على نقيضها بسبب الحقد الذى دفعهم لإثارة الفتن والقلاقل ... وحبك المؤمرات ضد الاسلام وأهله بل وصل بهم الأمر من الجرأة واعلان التعاون مع أعداء المدينة وأهلها وكان من المفروض أن يقف هؤلاء اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حربه ضد الكفار ولكنهم على العكس من ذلك أخذوا يروجون الشائعات ضد المسلمين ويشنون حرباً نفسية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ويمارسون التجسس على المسلمين لصالح المشركين حيث نقلوا كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحركاتهم إلى قريش، كما أنهم على أتصال بهم وتلقوا رسالة من قريش تحرضهم فيها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهروا للرسول صلىالله عليه وسلم الحسد والبغض بعد انتصاره على المشركين فى بدر. وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبه قتال أحد، وبذلك أظهروا نقض العهد ... فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق بنى قينقاع وقال لهم: "يا معشر اليهود: احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله إليكم، قالوا: "يا محمد إنك ترى إنا مثل قومك، لا يغرنك أنك لقيت

قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصه، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس"[١].

ويصور الشيخ أبو زهرة ذلك قائلاً:

"أخذ بنوقنيقاع من قبل ما حدث مع المرأة ... وما كان من تهديد ... يتطاولون على المسلمين بالسب والأذى والتحامل وعدم صدق لسانهم عند المسلمين والاسلام. والنبى صلى الله عليه وسلم يصابرهم ويوفى بعهدهم حتى كان منهم القتل ... وإن أمر بنى قنيقاع قد أنتهى بإجلائهم وطهرت المدينة من أرجاسهم. وما كان ذلك اعتداء من النبى صلى الله عليه وسلم بل لرد اعتدائهم ولنقضهم للعهد ... ولأنهم صاروا جيران سوء يحق أجلاؤهم ليسلم الناس من فسادهم[٢].

كذلك من قبائل اليهود بنى قريظة وقد كانوا فى أمان أيضاً بمعاهدتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم، وكان فى وسعهم أن يبقوا كذلك ولكنهم لم يحافظوا على العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتبروا مما حدث لإخوانهم بنى قنيقاع من جزاء نقض العهد بل استجاب لنداء الحقد فى قلوبهم والخيانة وقاموا بمؤامرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق:-

كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام عليه أبى الحقيق النضرى وحيبى بن أخطب النضرى وكنانه بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذه بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية حـ ٤ ص ٤.
(٢) محمد أبو زهرة – خاتم النبيين ص ٨١٤ – ٨١٦.

وهم الذين خربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت قريش لهم: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفدينا خير أم دينه؟ قالوا لهم دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم:-

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا"(١).

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتحدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا عطفان من قَيس يميلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه(٢).

فاليهود كما رأيناهم الذين سعوا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأليب الأحزاب عليه وعلى أصحابه، وهم الذين تآمروا مع المشركين على استئصال الرسول ودعوته. وهم الذين شهدوا ظلماً وعدواناً بأن الشرك والوثنية خير من التوحيد والاسلام. وأن المشركين خير وأهدى سبيلاً من المؤمنين. ولعل فى هذه المواقف من اليهود والنصارى ما يدل على أن الباطل ملة واحدة. وأن هؤلاء القوم لن يهدأ لهم بال إلا حين يستأصلون المسلمين ويقضون على دينهم وصدق الله العظيم.

---

(١) النساء/٥١.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية حـ٤ ص ٩٦.

"وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"(١). وان كان يهود اليوم أسوء من يهود بنى قريظة لأنهم أخرجوا المسلمين من ديارهم وقاموا على انقاض شعب. وهذا الاحتلال تطلب مجاذر وتطهير ديننا وعرقياً كما حدث فى دير ياسين وخان يونس وصبرا وشاتيلا وبحر البقر وقانا. وجنين وطور كرم.

ثانياً: الحروب الصليبية:

لم يقتصر صراع الكنيسة الغربية مع الاسلام على التنصير والتبشير بل إنه وصل إلى حد الصراع المسلح، المتمثل فى تلك الحروب الكثيرة التى قادتها الكنيسة ضد الإسلام.

وكانت تلك الحروب ولا زالت هى المقدمة الطبيعية للأستعمار وسيطرة الغربى للعالم الاسلامى كله. بل وتمثل لنا مدى العداوة التى امتلأت بها قلوب النصارى عامة ورجال الدين منهم خاصة تجاه الاسلام والمسلمين متخذين الدين ستاراً لأطماعهم السياسية والتجارية والتوسعية فى العالم الاسلامى.

ويمكن الاشارة هنا إلى البداية الحقيقية لتلك الحروب الصليبية التى صنعتها أسبانيا، وأسبانيا لم تكن بالأرض المقدسة ولم يكن فيها قدر أو بيت لحم حتى يدعى تحريرها من أيدى المسلمين ومع هذا فقد شابت رؤوس الولدان والغربان بما جرى للمسلمين واليهود فى أسبانيا النصرانية وإن ما حدث على أيدى رجال الكنيسة يفوق الخيال ولقد استشهد آلاف المسلمين دون تمييز بين رجل وأمرأة، أو بين طفل وشيخ، ولقد سلبت أمتعتهم وحيواناتهم،

(١) البقرة الآية ١٢٠.

وحرقت زروعهم بل لقد أزيلت قرى بأكملها، بناسها وغرسها، وحيواناتها ومساجدها ومدارسها ومستشفياتها وملاجئها. ولم يفلت من تلك المذابح علماء المسلمين وأئمة المساجد الذين أضاءوا أوربا بعلومهم ومعارفهم، جرت كلا هذه الأعمال الوحشية فى أسبانيا وبالاخص فى منطقة جين التى وصف الهجوم العسكرى المسلح عليها بأنه طاعون لم يترك فى هذا البلد شبراً وطئته أقدام الجنود والنصارى إلا حطمته ونشرت فيه الرعب والخراب والدمار ومن هذا التاريخ يجب أن يؤرخ للإرهاب المنظم يحدثنا نورمان دانيال أنه عندما أحتل الفونسو منطقة كوريا الأسبانية حطم كل مساجدها فى الحال وعلى أثر إزالة المساجد كلية قال:-

"إن المدينة الآن نظفت، أو طهرت من الاسلام الذى لوثها" ويعتبر سانكو أن حربه ضد المسلمين كانت حرباً دينية، وأنه خاض معركته الصليبية لتخليص البلاد من الكفار المتوحشين يعنى المسلمين[1]. وعندما أفلحت هذه الجهود فى القضاء على الحكم الاسلامى فى الأندلس وإسقاط آخر معاقلة فى غرناطة بعد ثمانية قرون "سنة ١٤٩٢" صدرت قوانين تخير المسلمين بين التعميد أو النفى أو الموت[2].

هكذا تعاملت الحضارة الغربية مع المسلمين فى أسبانيا لقد أبيد شعب مسلم لا يقل تعداده عن أربعة ملايين على أيدى مواطنيهم المسيحيين الذين هم أنفسهم سبق لهم أن نعموا بالحياة الآمنة قروناً فى ظل الحكم والحضارة

(١) د/ محمد محمد أبو ليلة: الجذور التاريخية والجسور التاريخية بين الاسلام والغرب القاهرة لسنة ٢١٠١. القسم الأول. ص ٣٩/٤٠.
(٢) برنارد لويس، الاسلام والغرب دار الرشيد دمشق - بيروت ط ١ لسنة ١٩٤٤ ص ١٥.

الإسلامية. والباقون من المسلمون الأحياء واجه سواء ثلاث خيارات إما التحول إلى المسيحية أو الرحيل عن أسبانيا أو الموت. لقد ولى عصر التسامح الدينى وحل بديلاً عنه التعصب الاعمى من جانب محاكم التفتيش الاسبانية لملاحقة خصومها من اليهود والمسلمين والبروتستانت واستأثر المسلمون بالنصيب الأكبر من هذا الاضطهاد. وهكذا كانت الكنيسة الغربية طليعة للصراع الغربى ضد الاسلام والمسلمين.

وأستمرت الكنيسة فى مباشرة هذا الدور على أمتداد الحروب الصليبية. فلقد كان التعدى الشائن الذى قامت به أوربا كلها قرنين من الزمن ما بين نهاية القرن الحادى عشر الميلادى إلى قريب من نهايات القرن الثالث عشر وقد كان لبطرس (الناسك) والبابا إيربان الثانى الدور الأكبر فى إثارة المشاعر وتهييج العواطف وحشد الجيوش، ودفعها إلى الخروج باتجاه الشرق الاسلامى تحت شعارات تدعو إلى مساندة نصارى الشرق، وتحرير الأماكن المقدسة فى فلسطين من الدنس الذى يصيبها بالخبائث على أيدى المسلمين الذين قهروا النصارى، ودنسوا الهيكل، وضربوا المذلة على عباد الرب، ولم يكن غريبا – فى هذا السياق – أن يوصف المسلمون بالكفر والوثنية والدنس[1]. وقد ارتكب الصليبيون خلال هذه الحروب أبشع ألوان الوحشية والظلم ضد المسلمين مما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل.

فقد جاء فى كتاب "حضارة العرب" لفوستاف لوبون وهو فرنسى مسيحى قوله:

(١) وليم الصورى، الحروب الصليبية، ترجمة/ حسن حبشى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م حـ ١ ١٠٤/٩٦ د/ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة – الكويت ١٩٩٠م ص ٢٩/٢٤. د/ عبد الحميد مدكور – الحوار المسيحى الإسلامى دراسة لإحدى الوثائق ص ١٢٧.

"ونرى فى كل صفحة من الكتب التى الفها مؤرخو النصارى فى ذلك الزمن براهين على توحش الصليبيين، قال المؤرخ الراهب التقى روبرت:

"كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليروا غليلهم من التقتيل. وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إرباً إرباً وكانوا لا يستبقون إنساناً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلمة بأمض سلاح من غير أن تقاوم، وكان قومنا يقبضون على كل شئ يجدونه فيبصرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، فيا للشره وحب الذهب وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طرق المدينة المغطاة بالجثث فيا لتلك الشعوب العمى المعدة للقتل، ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية ديناً".

ثم يقول لوبون:-

وقد جاء فى الأقاصيص أن القديس "جورج" تراءى للصليبيين من جبل الزيتون، وأنه حرضهم على القتال فانقضوا على أسوار القدس وأقتحموها، وكان سلوك الصليبيين حين دخلو القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، قال كاهن مدينة "لوبوى" ريموند داجيل:-

"حدث ما هو عجيب بين العرب عندما إستولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار وحرق بعضهم فى النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى فى شوارع القدس وميادينها سوى أكياس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا

يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا".

وروى ذلك الكاهن خبر ذبح عشر آلاف مسلم فى مسجد عمر، فعرض الوصف الآتى:

"لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقه"(١).

هذا مثال لوصف مؤرخى النصارى لما حصل من بنى قومهم فى الحروب الصليبية. ولعلنا نلحظ الدور البارز الذى قام به رجال الدين من النصارى فى هذه الحروب، وهو دور المحرض عليها المشعل لأوراها ويلخص أحد كتاب أوروبا أهداف الحروب الصليبية فى هذه الكلمات:

"عندما يختفى القرآن ومكة من بلاد العرب يسهل علينا أن ندفع المسلم فى سبيل الحضارة يعنى الحضارة الغربية المسيحية وهى لب دعوة التعريب التى مارسها الغرب عبر محاور كثيرة"(٢).

ولكن هذا الذى نلاحظه فى التاريخ الغربى يدفعها إلى هذا التساؤل ماذا كان سيحدث للمسلمين أو للعالم لو لم ينشغل الغرب بالعلوم والاختراعات ولو لم يغرق فى وسائل الرفاهية والترف ويستحوذ على ثمانين فى المائة من

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٣٢٥/٣٢٧.
(٢) أ.د/ أمينة محمد نصير - قراءة علمية من أوراق الاستشراق والتبشير لسنة ١٩٩٩ ص ٩.

ثروات العالم؟؟

الأمر العجيب أن تراق الدماء باسم المسيح الذى يعتقدون أنه ضحى بدمه على الصليب فداء للبشرية أى بشرية ترى فدى المسيح بدمه إذن، وأى آلام لعمرى أخذ وأى خطيئة كفر عنها، وحطها عن كاهل البشر؟؟

من استقرائنا للتاريخ والواقع الغربى المعاصر يبدو أن الأوربيين قد اقتنعوا ولا يزالون رغم اختلاف الظروف والأحوال والتفكير والنظام الاجتماعى والسياسى بأنه لاحق للمسلمين فى أوربا، ومن حق أوربا أن تنزل فى أى مكان فى العالم والعالم الاسلامى والعربى بخاصة وأن تحتل ما شاءت من الشعوب، وتصادر ما شاءت من الأديان والحريات والثروات بل والحيوانات(١).

إن حلم النهب فى "بلاد الذهب قد شغل أمراء الحملة الصليبية الأولى التى افتتحت رحلة إنقاذ إخوانهم فى الشرق، فمضوا يقتسمون الغنيمة وهم فى طريقهم إلى الشام، حتى قبل أن يضعوا أيديهم عليها وهكذا سارت التجارة وراء الصليب. ولعل التجارة هى التى قادت الصليب كما يقول "ول ديورانت" فى تحليله لأسباب الحملة(٢) خاصة وأن أوربا فى هذه الفترة كانت فى حالة سيئة فقد عضهم الفقر. وأصيبوا بالأوبئة التى حصدت منهم الكثير. والمجاعات زادعت من عوزهم. فأوهمهم ملوكهم وأمراؤهم بأن الشرق الإسلامى هو بلاد الذهب. لا يلبث أن يغتنى وينعم(٣).

(١) محمد محمد أبو ليلة - الجذور التاريخية والجذور الحضارية ص ٤٤ مرجع سابق.
(٢) أ.د/ آمنة نصير - قراءة علمية من أوراق الاستشراق ص ٧.
(٣) محمد كرد على - الإسلام والحضارة الغربية حـ ١ ص ٣٥ نقلاً عن المرجع السابق.

تلك هى الصورة التى يعتنقها الغرب للاسلام والبلاد الاسلامية. فالمسلمون فى نظر الغرب شئ يجب اجتثاثه هكذا تشكلت العلاقة فى ظل هذه المبادئ.

وعلى أى حال فإن الدين لم يكن بالنسبة لهذه الحروب الصليبية إلا شعاراً لأطماع سياسية وتجارية واستعمارية توسعية فى أراض المسلمين ولكن ما الذى جناه الاسلام عليهم حتى يكون ذلك موقفهم منه ومن أتباعه؟؟ أن موقف الاسلام منهم هو ذلك الموقف نفسه الذى صنعه "صلاح الدين الأيوبى" حين تمكن من رقابهم والذى يحكيه واحد منهم هو غوستاف لوبون، يقول: "لم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل فى الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش فيبيد النصارى على بكرة أبيهم، فقد أكتفى بغرض جزية ضعيفة عليهم مانعاً سلب شئ منهم[١].

يقول المؤرخ النصرانى جيكوب فيترى الذى اهتم بوصف جغرافية الأرض المقدسة:- يقول عن شخصية صلاح الدين الأيوبى.

إنه كان من أكرم الناس، ومن أرقهم قلباً ليس فقط بالنسبة لأبناء دينه، بل لنا أيضاً نحن المسيحيين. ولقد أوصى صلاح الدين عند موته بتوزيع ثروته على فقراء المسلمين واليهود والنصارى دون تفرقة[٢].

ومع هذا بلغت عداوة النصارى للمسلمين هذا الحد من الوحشية والقسوة والحنق الشديد الذى صور لهم ان فى وجود الإسلام وأهله قضاء مبرماً عليهم وعلى دينهم. ولقد اعتبرت الكنيسة الإسلام بصفة خاصة هو

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٣٢٩.
(٢) د/ محمد محمد أبو ليلة: الجذور التاريخية والجسور الحضارية ص ٥٣ مرجع سابق.

العدو التقليدى والقوى للممالك النصرانية وصورت المسلمين على أنهم أمة متوحشة متربصة بالأمم النصرانية هذا هو الرأى العام للنصارى تجاه الاسلام والمسلمين أثناء الحروب الصليبية وما بعدها بصورة عامة. ومن الملاحظ فى تاريخ العلاقة الغربية الإسلامية أن هذا الموقف الأوربى لم يتغير بالنسبة للإسلام والمسلمين حتى يومنا هذا. حتى بعد أن انقسمت أوربا إلى كاثوليكية وبروتستانية، بل ويعد انحصار دور الكنيسة فى أوربا وسيطرة النظام العلمانى واللادينى على أشكال الحكم مما ولا شك ان هذا تصور خاطئ، وإلا لقضى عليهم صلاح الدين حين تمكن منهم وأحكم قبضته عليهم ولما أنفى منهم نفساً على أى حال أن عداء النصارى لم ينته بانتهاء الحروب الصليبية. فبعد الفشل الذريع التى منيت به هذه الحروب الصليبية فى تحقيق نتائجها المتوقعة، بدأت عداوة النصارى للمسلمين تأخذ طابعاً آخر يعتمد بالدرجة الأولى على تحويل الفكر الاسلامى عن منطلقاته وأهدافه وذلك بعزل مبادئ الإسلام وقيمه عن التطبيق العملى فى حياة المسلمين. ومن ثم يصبح المسلمون مجرد صورة لم تأخذ من المجتمع الإسلامى الأول إلا الاسم فقط، وحينئذ يسهل على النصارى غزوهم والتحكم فيهم بعد أن أصبحوا عجينة طيعة فى أيديهم وقد ظهرت وثيقة خطيرة تلقى الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكرى إلى الغزو الفكرى وهذه الوثيقة تتضمن وصية لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة. التى أنتهت بالفشل والهزيمة ووقوع "لويس" فى أسر المصريين فى مدينة "المنصورة" وقد بذل الملك "لويس" فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات

والأعراض وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى. وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة فى ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلم والحيلولة دون تطبيق مبادئ الاسلام وقيمه فى واقع المسلمين العملى(١).

وقد أطلق على هذه المعركة أسم الغزو الفكرى والثقافى ولا شك أن هذا الغزو أستفاد من هذه الوثيقة وإن كان الأمر أوسع إنتشاراً عند الغرب فى الايمان كل الايمان بهذا السلاح الذى كان جل أهتمامه ينصب على هذه الأسس وإفساده لحياة المسلمين وزعزعة عقيدتهم.

١ - تقويض العقيدة الاسلامية فى مصدرها الأساسى القرآن والسنة وتقولوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن القرآن من وضعه ونسجه.

٢ - خلطوا فى مصادر الأحكام الإسلامية وبين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الإجتهاد ونظروا إلى الجميع على إنها من صنع البشر. فسووا بينهم فى المنزلة.

٣ - إضعاف القيم الإسلامية وتشويهها حتى لا تصل إلى عالم الغرب نفسه ومما يذكر أن المسلمين لما فتحوا مدينة القسطنطينية - عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وفيها مركز البابوبة لكنائس الشرقية - هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم، فأخذوا فى الأفتراء والتشنيع على الاسلام وتشويه أحكامه الالهية العادلة. وكان الدافع لهم فى هذه الحملة الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول فى دين الله أفواجاً، ليصدوهم عن الاسلام الذى يبيح تعدد الزوجات والطلاق.

(١) انور الجندى، الاسلام فى وجه التغريب ص ٥، ٦ طبع دار الاعتصام بدون تاريخ.

ولم يقف هدفهم عند هذا الحد. بل ارادوا زعزعة وإقتلاع هذه القيم الإسلامية من نفوس أهله حتى يسهل عليهم بعد ذلك أن يزرعوا ما يريدون من مفاهيم وتخريب لنسيج الإنسان المسلم، خاصة المتمسك بدينه. حتى يقوى فى نفسه الشك[1] هكذا بدأت عداوة النصارى للمسلمين تأخذ طابعاً آخر يعتمد بالدرجة الأولى على تحويل الفكر الاسلامى عن منطلقاته.

ولكن لما لم تنجح هذه الوسيلة فى تحقيق أهدافهم وهو القضاء على الاسلام فى نفوس اتباعه وتشويه صورته حيث أن الله تعالى قد تعهد بحفظ هذا الدين قال تعالى:

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

وفى قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".

وقوله تعالى:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ".

سرعان ما عاد الغزو العسكرى مرة أخرى فى صورة القضاء على الارهاب. فأعلن الغرب حروب إبادة للإسلام واقتلاع له من الجذور.

---

(١) أ.د/ آمنة محمد نصير – قراءة علمية من أوراق الإستشراق والتبشير ص ١٣ لسنة ١٩٩٩م.

إنهم يطمعون ويطمحون أن يصنعوا بالاسلام أكثر مما صنعوا بالهنود الحمر. فللهنود الحمر بقايا أما الإسلام فلا يريدون له ولا للمسلمين بقية.

اغتصبت أمريكا الشرعية الدولية على النحو الذى كانت تذهب فيه معالم الفروق بين مجلس الأمن الدولى ومجلس الأمن القومى الأمريكى والحدود الفاصلة بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة فالسلطان الأمريكى لا يريد منافساً ولا شريكاً ولا بديلاً. ينزع سلاحنا فى الوقت الذى يعيد فيه عصر القواعد العسكرية الأجنبية على أرضنا من جديد. وإذا أعطانا السلاح فهو يحرص على تفوق إسرائيل على أوطاننا جميعاً ثم هو لا يسمح لنا باستخدام هذا السلاح إلا فى صراعات داخلية يدبرها ويدفع إليها ويؤجج بذاتها[1].

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة عازمة على المضى قدماً فى حملتها وتوجيه حربها وضرباتها العسكرية ضد كل من تتهمه بدعم الارهاب أو له صلة به. فبدأت الحرب بأفغانستان وذلك بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وبعد نجاح الحملة العسكرية فى إبادة الشعب الافغانستانى الاعزل تستعد الادارة الامريكية لتجهيز المسرح العالمى للانتقال إلى محطة أخرى فى حربها ضد الأرهاب وذلك بإرسال قوات عسكرية وخبراء ومعدات متقدمة إلى أكثر من عشر دول لمطاردة المسلمين وهذه الدول كما ورد فى قائمة رسمية لوزارة الخارجية الامريكية وهى [الفلبين - اندونيسيا - نيبال - باكتسان - اليمن - جيبوتى - اثيوبيا - الاردن - جورجيا - أوزبكستان - وغيرها].

كما تستعد لشن حرب شاملة ضد العراق بعد احدى عشر عاماً مرت

(١) د/ عبد الفتاح أحمد الفاوى - العولمه والحوار الحضارى ص ٧٣.

على حرب الخليج تحمل خلالها الشعب العراقى الويل، وذاقوا مرارة الظلم من قتل ونقص فى الغذاء والدواء دمرت خلالها لهم البنية التحتية أكثر من مرة بلا ذنب. لا شك أن أمريكا واخوانها الغربيين لهم مصالح بالمنطقة ولم يكن الغرض كما هو معلن القضاء على الارهاب. فاذا كان هذا حقيقياً فأين هذه الجيوش مما يحدث للمسلمين فى الهند اليوم من المتطرفون الهندوس الذين يكررون نفس السيناريو الاسرائيلى .. هدموا مسجد البابرى لاقامة معبد لهم على انقاضه، وأحرقوا المسلمين احياء وسط حاله من الصمت العالمى المريب لماذا لم تشر قائمة الإرهاب الأمريكية الشهيرة إلى هؤلاء الارهابيين الهندوس من قريب أو بعيد ... ترى لو أن ما حدث للمسلمين فى الهند حدث لأصحاب أية مله أخرى فى أى بلد مسلم ماذا كان يحدث.

كذلك ما زالت تتصاعد معارك السفاح شارون ضد الفسطينيين يوماً بعد يوم فى أرض فلسطين لتغتال المدنيين والشيوخ والاطفال والنساء والشباب وتحصد الأبرياء الذين لا ذنب لهم. والعالم يشاهد عبر الفضائيات كل لحظة الدم الفلسطينى يتناثر فى كل مكان والبيوت تنهار تحت وطأة القنابل والدمار يحيط بكل منطقة من المناطق الفلسطينية أى عدالة تلك التى تترك هذا السفاح يمر بالدبابات والطائرات والقذائف ضد الفلسطينيين ولا أحد يقول له كفئ.

ان ما تفعله حكومة أسرائيل من اعمال وحشية وخراب وتقتيل فى الأراضى الفلسطينية أبشع وأعتى وأفظع بكثير جداً مما فعلته النازية بأجدادهم اليهود الصهاينة.

وهذا ما اعترف به تيرى رود لارسن المفوض الخاص للأمم المتحدة أن الدمار فى جنين مثال يشهد على "فظاعة تفوق الوصف" وهو ما وصفه

وليام بيرنز مساعد وزير الخارجية الامريكية بأنه "مأساة انسانية مروعة".

وعلى الرغم من الخطوات والتحركات المتباينة التى تكشف أبعاد المجزرة الاسرائيلية. إلا أننا نرى دعماً سياسياً فى المحافل الدولية لشارون وسياسته وانحياز كامل من جهة الغرب المسيحى ضد الامة العربية فهى مؤامرة أمريكية بريطانية مختلطة مؤهلة لتدمير كل أراضى عربية واسلامية.

وفى النهاية نسأل أين الانسانية العالمية وأين منظمات حقوق الانسان وأين تجيش الجيوش. بل ان الفيتو جاهز دائماً لاحباط أى قرار قد يمس أسرائيل من بعيد فاسرائيل فوق القانون هذا جزء بسيط مما تعانيه الشعوب الاسلامية. ولا أرغب فى الاستفتاضة فى بيان مدى التعصب والتربص الأعمى من جانب المسيحيين واليهود فالحضارة الاسلامية هدف للإرهاب الغربى نعم الأرهاب الغربى فالمسلمون الذين لقوا مصرعهم على أيدى الغرب يفوقون كثيراً الغربيين الذين ماتوا بأيدى مسلمين.

يقول عالم الانثروبولوجيا "أرنت جيلنز" إن قضية الغرب مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه هى قضية الهيمنة والإلحاق وإن عداء الغرب للإسلام نابع من استعصاء الإسلام على العلمنة التى هى شرط التبعية والإلحاق وعندما سئل أحد قادة الغرب ما هى مبررات بقاء حلف الاطلنطى (الناتو) بعد زوال المواجهة أجاب: صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا ان ثم مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الاسلامى.

ويقول "تيكسون" الاسلام والغرب متضادان نظرة الإسلام للعالم نفسه تقسمه إلى قسمين دار الإسلام ودار الحرب حيث يجب أن تتغلب الأولى

على الثانية[١].

ولذلك يمكننا أن نقول إن الغرب وإن حقق الكثير من التقدم على مستوى الفرد المواطن فإنه لم يحقق التقدم نفسه على مستوى الإنسان الشخصى أو الشخص الروحى لا المادى ولا السياسى فقط.

لقد اصبح العالم فى ظل النظم البشرية السائدة بركاناً هائجاً، ومجزره بشرية كبرى، وغاية شاسعة تسرح فيها الوحوش نعم أصبح العالم هكذا بباعث من المطامع والاحقاد والتعصب والكرة والانتقام. وأصبح الدين عاجزاً عن أن يوقف عبث الانسان أو التصدى لكيده وعجز الدين عن ذلك ليس كامناً فى طبيعته أو ذاته وإنما فيمن ينتمون إليه.

نعم أصبح الإنسان فى هذا العصر شغوفاً بالارض دون السماء. وبالمادة دون الروح، وبالدنيا دون الآخرة. فاختلت لديه الموازين وشاع فى حياته الظلم بصورة جليه واجتاح الفقر والجهل مناطق كثيرة من العالم.

ولذلك علينا أن نبين للعالم المنهج الإسلامى الكامل المتكامل الذى يسمو بالانسان روحياً وعقلياً وخلقياً ومادياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ويرقى به إلى أعلى الدرجات فى السمو بعد أن استخدم الغرب مختلف الحيل والسبل شاهرين سلاح الفتك والقتل تارة. ممثلاً فى القوة والغزو العسكرى وسلاح الحرب الباردة سلاح الكلمة ممثلاً فى الغزو الفكرى تارة أخرى ويحظى من يظن كما بينا سابقاً أن الحروب الصليبية قد انتهت بل واقع العالم الإسلامى فى شتى أنحاء المعمورة يشهد بالهدف المنشود للغرب الصليبى.

(١) محمد عمارة. الاسلام والتحديات الجديدة ص ٤٦ دبى لسنة ١٩٩٣ دولة الامارات العربية. نقلاً عن العولمه والحوار الحضارى / عبد الفتاح أحمد الفاوى.

مما يدفعنا إلى توضيح صورة الاسلام المعتمة لعلها تثير فى امتنا وخاصة شبابها صحوتهم وغيرتهم على دينهم. وليعلموا علم اليقين أنه لا يوجد دين إلهى أسيئ فهمه وكثر الهجوم والطعن عليه من المتعصبين لفكرهم وعنصريتهم مثلما أسئ فهم الاسلام وهوجم.

ولا شك أن المهمة فى وسط هذه الظروف الصعبة جسيمة وان المسئولية ثقيلة ولكن ليس لنا خيار آخر غير الاستعداد لمواجهة هذا الغزو برؤية مستقبلية نابعة من هويتنا الثقافية. وتقوية الروابط التى تحقق لنا القوة والتماسك فيما بيننا نحن المسلمين. فى مختلف المجالات. قال تعالى: "**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ**". الانفال/٦٠.

وإن من مصلحة البشرية قاطبة ومن بينهم أهل الاسلام أن يفقه الناس كافة تعاليم هذا الدين لما اشتمل عليه من قيم واخلاق ترسى قواعد الحضارة وتدعم آفاق التقدم خاصة واننا نعلم جميعاً ان الاسلام قوَّم مفهوم الانسانية الخاص الذى كان سائداً فى الجاهلية حيث كان يعتقد أهل الجاهلية – وكما هو موجود الآن – أصالة أمتياز بعض الناس على بعض بالعنصر أو العرف أو الطبقة أو الجاه. وكنتيجة لهذا الاعتقاد الخاطئ تغلبت الغرائز البهيمية والطباع المتوحشة على الناس فهى صاحبة السلطان ولها الحكم والكلمة الأخيرة فى جميع التصرفات للأفراد والجماعات فأصبح الناس يعيشون فى عالم ملئ بالظلم والفوضى والطغيان يكسر القوى فيه الضعيف ويأكل فيه القادر العاجز ويسلب جميع حقوقه وحرياته.

فجاء الإسلام ليقوم هذا التصور الخاطئ ويصحح العلاقات الإنسانية

فنزلت آيات القرآن الكريم واضحة فى هذا المعنى موضحة أصول العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان وجاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدة ذلك فى أكثر من مناسبة[1]. وهذا ما ينتبه عند الحديث فى الحوار فى القرآن وأساس التسامح فى الاسلام ومن هنا وضع الاسلام الاسس والضوابط المحكمة التى يقوم عليها الحوار وتتمثل فى:

(١) الاحترام المتبادل:

ان الاحترام المتبادل بين الاطراف المتحاورة هو المنطلق الأول الذى يجب أن يرتكز عليه الحوار قال تعالى:

"وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" الانعام/١٠٨ إن عقلية المسلم تشكلت كما بينت سابقاً فى ضوء فكر دينى يحترم النفس الإنسانية وما اكثر النصوص التى جاءت فى السنة الشريفة ينهى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عن مسالك الطعن والسباب أو السخرية والاستهزاء فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى عن أبن مسعود "ليس المؤمن بالطعان. ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذى".

وحينما عير بعض الصحابة واحداً من إخوانه بسواد أمه فقال له: يا ابن السوداء غضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال له: إنك أمرؤ فيك جاهلية. هكذا أكد الإسلام على التزام الخلق الفاضل مع الآخرين، حتى وإن كانوا من الخصوم لدينه وعقيدته.

فحذر من الشتم والسخرية والبذاء والاحتقار والازدراء للآخرين مهما

---

(١) الاسلام والقرن الحادى والعشرين ص ١٣٦.

كانت آراؤهم عند الحوار. وذلك لان هدف الاسلام من الحوار، هو الأخذ بيد الخصوم إلى الحق، قيادتهم إليه برفق وليس هو تحقيق الآخرين وإظهار الغلبة والنصرة عليهم فقط.

الانصاف والعدل:

وإذا كان الاحترام المتبادل منطلقاً أولاً للحوار فإن الانصاف والعدل هو المنطلق الثانى. ولنا فى قوله تعالى: فى سورة المائدة قاعدة ثابتة وهداية دائمة يقول تعالى «**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**» المائدة /٨.

فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذى ينفع الناس ويقتضى العدل المساواة بين البشر ويستدعى الاعتراف بالفضل لذوية، ويتطلب الإقرار بالحقيقة حتى وإن لم تكن فى صالح جميع الأطراف ثم إن العدل هو روح الشريعة الإسلامية[1] ومرعاة تقوى الله فى الخصوم والأعداء وان يكون منصفا لهم فلا يبخسهم حقوقهمن ولا يرفض كل أقوالهم ولا ينظر إليهم نظرة واحدة بل ينبغى أن يميز بين ما عندهم من حق وباطل، وأن يفرق بين العادل والظالم قال تعالى "**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**" آل عمران/ ٧٥.

وباجتماع الاحترام المتبادل والانصاف تتوفر قاعدة ثالثة من القواعد التى تقوم عليها منطلقات الحوار وهى نبذ التعصب والكراهية ونجد اصلاً لهذه القاعدة فى قوله تعالى فى سورة الممتحنة «**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ**

(١) أ.د/ عبد العزيز بن عثمان التويجرى – الحوار والتفاعل الحضارى من منظور إسلامى ص ٨٢.

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» الممتحنة.

فلكى يؤدى الحوار ثماره ويحقق مقاصده المرجوة لابد أن يكون سهلاً لينا فى اسلوبه. لا غلظه فيه ولا شدة ولا تعصب قال تعالى **«وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»** حيث أن التطرف والتعصب مرض خطيرا يناقض الوسطية الإسلامية التى أخبر عنها القرآن فى قوله تعالى: **«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»** البقرة/ ١٤٣ لذلك لم يعرف الاسلام طوال تاريخه أى نوع من التعصب أو العنصرية بل عاش فى ظله ابناء الرسالات الاخرى سواء كانوا مسيحين أو يهودا واستمتعوا بجميع الامتيازات التى يستمتع بها الانسان المسلم من حرية فى العقيدة. وحماية الدولة الإسلامية لحقوقهم كمواطنين دون تفرقة أو تمييز.

فالتعصب كما يقول: الامام الغزالى[1] شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة، وإنما لمستكنة فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر من الحديد، فمن استفزته نار الغضب قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: **«خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»** الأعراف/١٢ فإن شأن الصين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار هذا التعصب بهذا الشكل يتولد عنه حتما العنف والارهاب.

هذا هو موقف الاسلام من الحوار والجدل لأن هدفه هو التوحيد

(١) احياء علوم الدين جـ ١٦/٣ مكتبة الحلبى.

﴿ ٤٠١ ﴾

والتعايش السلمى لا الشقاق والصدام يتضح ذلك حين نقرأ قوله تعالى «**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...**» حيث أن الاديان جميعاً سلسلة واحدة مترابطة الحلقات إذ أن جوهر الأديان واحد ويقوم على توحيد الخالق وتنزيهه وان عدم الثقة بين أصحاب الأديان لا ينبعان من تعاليم الأديان فجوهرها واحد. وانما هو نتيجة للجهل المتبادل والخبرات المؤلمه فى الماضى فيكون العلاج إذن بالحوار الجميل والمعرفة حتى نصل إلى الالتقاء لينتفى البعد والجفوه ويحل محلها المودة والمحبة والتعاون وبدل من أن تكون الأديان حواجز وحدوده فواصل تصبح جسوراً للتفاهم بين البشر. وإذا كان هدف الدين ليس هدف المعرفة فقط ولكن الممارسة والتطبيق «كما ذكرت سابقاً» فلنعمل معا نحن المسلمين والمسيحين على تطبيق تلك الفضائل الاخلاقية التى أمرتنا بها الأديان. فالممارسة هى الضمان الاكيد لجدوى الجوار والقيم والفضائل الاخلاقية. يمكن أن تخلق أعمق الأثر فى إقامة الحوار حيث تربط تلك القيم بيد قلوب معتنقيها.

﴿ ٤٠٢ ﴾

الخاتمة

الضوابط الاخلاقية فى الحوار:

تبين لنا من خلال ما سبق أن الاسلام أسس منهجاً متكاملاً للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة تميز بجمله من الضوابط التى تشكل الركائز الاساسية لهذا الحوار وتحدد أهدافه ومقاصده وآرى أن هذه الضوابط الاخلاقية لابد وأن تكون موجودة عند غيرنا ممن نحاورهم كالمسيحية مثلاً باعتبار أننا أصحاب دينا واحد كما بينت سابقاً متفق فى أصل النزول والتوحيد من السماء وإذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بفضيله فى دين كانت ولابد ان تتواجد فى الأديان الأخرى.

يقول السيد المسيح:

أقول لكم أحبوا أعدائكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء ..... [1].

هكذا يدعوا السيد المسيح إلى التسامح حتى مع الاعداء للتشبه بالتسامح الالهى الذى يؤدى إلى المحبة والتعاون والوئام بين الأفراد.

كذلك من الفضائل الاخلاقية التى تنشر السلام والمحبة فى المجتمع مراعاة الأخ لأخية الإنسان حتى يدعم الأمن والسلام بين أفراد المجتمع يقول السيد المسيح:

---

(١) متى: ٥ - ٤٤.

«إن من يغضب من أخيه دون سبب حق عليه الحكم، ومن قال لأخيه راقا – هذه كلمة نابية – حق عليه المجلس، ومن قال أنت أحمق حق عليه نار جهنم»(١).

كما أكدت المسيحية على الدعوة للحق والعدل حتى تهدم الحواجز بين البشر يقول الكتاب المقدس [عليك أن تلتزم العدل فى حياتك حتى تعيش وترث الأرض التى يهبك الله إياها](٢) كذلك تدعوا المسيحية إلى فضيلة السلام يقول المسيح عليه السلام طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون»(٣).

ونجد فى سفر التثنية "الإصحاح الخامس" قوله [أكرم أباك وأمك، كما أوصاك الرب إلهك، لكى تطول أيامك، ولكى يكون لك خير على الأرض يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، ولا تزن ولا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته أمرأة قريبك، ولا تشته بنت قريبك ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حمار، ولا كل ما لقريبك".

وجاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية "الاصحاح الثالث عشر" قوله [لا تكونوا مديونين لأحد بشئ. إلا بأن يحب بعضكم بعضاً، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس، لا تزن، لا تقتل لا تسرق، لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة: أن تحب قريبك كنفسك .. المحبة لا تضع شراً للقريب فالمحبة هى تكميل للناموس".

(١) متى: ٢٢.
(٢) سفر التثنية ١٦ – ١٩: ٢٠.
(٣) سفر أشعيا ٣٢ – ١٧.

هذه أمثله من بعض بقايا دعوة عيس عليه السلام التى لم تصلها يد التحريف بل الأكثر من ذلك فقد ذهب السيد المسيح إلى القول: أنى أقول لكم لا تقاموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً»[1].

ولكن للاسف الشديد لم يعمل المسيحين بما جاءت به الاناجيل بل أن معظم الغربيين قد تخلوا عن التمسك بالمسيحية وتحولت معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية وحلت محلها العلمانية وكان من نتائج العلمانية. فقدان المسيحية لأهميتها فقدانا كاملا. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وزوال أهميته ايضا كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الاعظم من الناس وللحياة بشكل عام. ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينا حل محل الدين المسيحى. يفهم الوجود بقوى دنيوية هى العقل والعلم.

ولكن بعد تلاشى المسيحية.. سرعان ما عجزت العلمانية عن الاجابة على اسئلة الإنسان. بعد أن أدخلت الدين المسيحى فى أزمه. لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوربا.

ولو أن الكنائس الغربية لم تخن نصرانيتها، لركزت جهودها ضد العلمانية فى بلادها وعملت على إعادة تنصير أوربا بدلاً من هذه الحرب التى تشنها لتنصير المسلمين ولو ان هذه الكنائس اخلصت لمنظومة التدين مطلق التدين وللقيم الايمانية مطلق القيم الايمانية لسعدت بصمود الاسلام فى وجه

(١) نفسه.

العلمانية ونجاة المسلمين من هذا الذى احدثته العلمانية بالانسان الغربى والمجتمعات الغربية لكن الغريب والعجيب ان هذه الكنائس لم تصنع شيئاً من ذلك وإنما صنعت العكس. فزاد سعار حقدهم على الاسلام، لأنه قاوم ولا يزال يقاوم العلمانية، محافظاً على سلطان الدين والتدين فى قلوب المسلمين.. فكانت هذه الكنائس تريد ان تزرع فى الجسم الإسلامى ذات الجراثيم القاتلة التى قتلت تدين المجتمعات الغربية(١).

فمبدأ التسامح من الناحية النظرية موجود فى أقوال المسيح كما بيننا سابقاً ولكن النصارى لم يلتزموا بما جاء فى كتبهم من الدعوة إلى المحبة والتسامح والعفو وكانوا أول من نقض هذه الاخلاق. فالتاريخ والواقع شاهدان على ذلك. حيث أمتلات قلوبهم بالحقد والبعض والعداوة ليس مع غيرهم من أصحاب(٢) الديانات الأخرى ولكن تجاه بعضهم البعض لتفرقهم فى أمر دينهم شيعاً واحزابا وكانت هذه الخلافات لأنهم شغلوا بدفع الأذى، ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث وكانوا يستسرون دينهم ولا يظهرونه، ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها حتى إذا رزقوا الامان.

ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنه وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا فى التعلق باسم المسيح والاستمساك بالانتساب إليه، من غير أن يتفقوا على شئ فى حقيقته، ولذا لما منحهم قسطنطيين عطفه، واعتزم

(١) أ.د/ محمد عمارة/ حوار الأديان هل هو حوار الطرشان جريدة صوت الازهر العدد السادس والعشرين ص ٢٤/مارس ٢٠٠٠م.
(٢) انظر الهدف من الحوار والحروب الصليبيين وغيرها من موقف المسيحية من الاسلام ص من هذا البحث.

الدخول فى النصرانية، ووجد هذا الاختلاف الشديد، أمر بعقد مجمع ينقيه»[١].

وقد توالت الخلافات بعد ذلك وقد عبر القرآن الكريم عما أمتلأت به قلوب النصارى بعضهم لبعض من حقد وعداوة ظاهرة فى قوله تعالى:

«وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»[٢].

وقد قال قتادة:

«إن القوم لما تركوا كتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا[٣].

هذا الموقف الرافض للدين هو الذى أفسد الفطرة الإنسانية وجعل الثقافة الغربية غير صالحة للبشرية فلماذا اذن لا يتعرف كل منا مسيحيين ومسلمين بما لدى الطرف الآخر من قيم دينية اخلاقية ايجابية وان يعلم الجميع أن عدم الثقة بين أهل الأديان لا ينبعان من تعاليم الاديان فجوهر الأديان واحد، وإنما هو نتيجة للجهل بالاديان.

---

(١) أ. محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص ١٢٢.
(٢) المائدة/ ١٤.
(٣) تفسير الطبرى جـ ٦ ص ١٠٢.

يقول السيد هيلموت شميت مستشار ألمانيا الاسبق فى الكلمة التى القاها فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية:

[إننا كمسيحيين غربيين ليس لدينا إلا رؤية غير جلية وغير واضحة وغير كافية بالنسبة للإسلام].

فيكون العلاج اذن بالحوار والرجوع إلى القيم والفضائل الاخلاقية. الموجودة فى دينهم.

والسعى لتطبيق هذه الوصايا عملياً بين أبناء البشرية. من أجل تخليص البشرية من شبح الحروب وكوارث الأختلافات.

فأهلاً بهم فيما اتفقنا فيه، ونعذرهم فيما أختلفنا عليه. وليرحم كل منا الآخر. وأن يبذلوا الجهد اللازم من أجل عرض القيم الأخلاقية دون أن يفقدوا النظرة للإسلام باعتباره دينا نزل لهداية الانسانية كلها إلى طريق الخير والسلام الذى هو آخر خطاب آلهى. ودراسة القرآن الكريم دراسة جدية متفحصة بعيدة عن التعصب والنظرة المسبقة الخاصة.

كذلك يجب علينا كمسلمين ازالة الاسباب التى تخل بسماحة الاسلام لسد الفراغ الروحى الذى فقده انسان هذه الفروق المادية.

وأن يتعايش أهل الأديان جنباً إلى جنب بكل أمن واطمئنان.

يقول ابن رشد:

"..... أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك وما اثبتوه من كتبهم. فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم" (١).

وفى نهاية هذا البحث أذكر ما قالها جارودى بضرورة الحوار بين الحضارات فى العصر الراهن حتى يمكن للحضارة الغربية أن تتجاوز أزمتها وكذلك حتى يمكن للعالم المسمى بالعالم الثالث أن يتجاوز وضعه الراهن. وقد تأكدت قناعته هذه من قناعاته التى كان جوهرها [إيمانه بأن الغرب حادث عارض وأنه أخطر عارض طرأ فى تاريخ الكرة الأرضية والذى يقود اليوم إلى فنائها] وأن نجاة الغرب من هذا الفناء المحقق لا يمكن تجاوزه إلا بالقضاء على التصور التسلطى فى الثقافة الغربية وأن يستعاض عنه بتصور سيموفونى يتطلع فيه الغرب بأسئلته وبحلول لمشكلاته إلى حكمه "العالم اللاغربى" وليس من سبيل إلى ذلك إلا بالانخراط فى حوار حقيقى مع الثقافات غير الغربية(٢).

وعلى الله قصد السبيل

د. منى سليم

(١) ابن رشد. فلسفة ابن رشد، فصل المقال ص ١٧ دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

(٢) جارودى. حوار الحضارات من ص ٥١ : ٦١ نقلاً عن كتاب ضد العولمة ص